قِصص

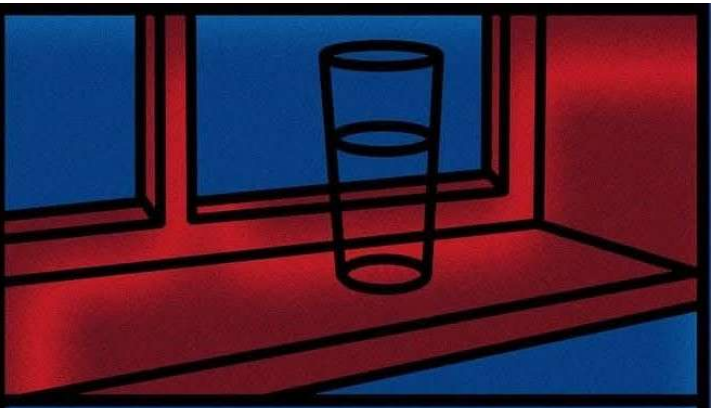

عبدالنّبيّ فرج

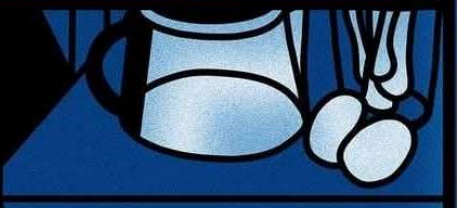

كوابيس الرّواقيّ

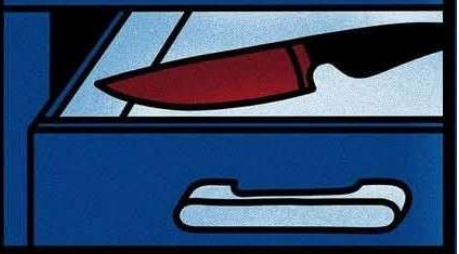

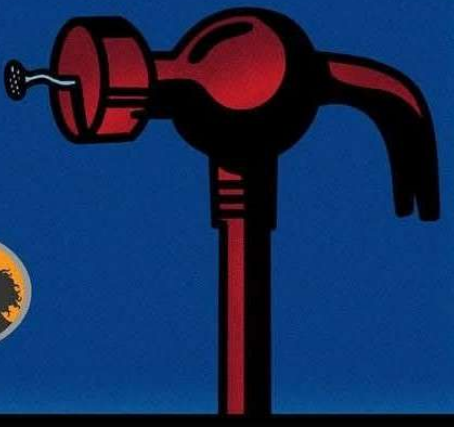

الأدهم

كَوَابِيسُ الرَّوَاقيّ

قصص قصيرة

عبدالنبي فرج

الأدهم
للنشر والتوزيع
2021

كَوَابِيسُ الرُّواقيَّ

قصص قصيرة

عبدالنبي فرج

الطبعة الأولى: 2021

رقم الإيداع: 2021/10156

الترقيم الدولي: 978-977-748-445-9

دار الأدهم للنشر والتوزيع

15 شارع عبد القهار من شارع الأصبغ - حدائق الزيتون - القاهرة - مصر

ت:.1023186228 - 01227341893

e mail: fares_khedr@yahoo.com

دار الأدهم للنشر والتوزيع

المدير العام: **فـارس خضـر**

المخرج المنفذ: **حسـام عنتر**

إهداء

إلى

د شاكر عبدالحميد

الشاعر فتحي عبدالله

الشاعر شريف رزق

كانوا ضوءا وسندا حقيقيا في أيام صعبة

افتراس

ستقضي علي بنت الحرام، نعم ستقضي علي بجنونها ورغبتها المدمرة ، بهذا اللهيب الذي تغمرني به، دون أي اعتبار لسني، لقد تجاوزت الواحدة والستين ، ولم أعد أحتمل كل هذا الإنهاك المدمر، حتي يأتي على ذهني خاطر أنها رسول موت، في هيئتها ليأخذ روحي بطريقة شيطانية، ساخرة، أطرافي متجمدة وخالية من الحياة حتي أنني شرطت جلدي بموسي ولم ينز دماءً، صقيع يجتاحني في قيظ الصيف، والاستغراق فترات طويلة في النوم، أكون فيها شبة ميت، ولم يعد لى أصدقاء لأبث لهم نكبتي ، ثم ماذا كنت سأقول؟ زوجتي أم أولادي أصابها سعار جنسي وهى فوق الخمسين! هذه العجوز الذي ظلت طوال عمرها تنكد على ببرودها ونظرتها للجنس باعتباره سلوكا شائنا مهينا، وأن جسمها غالٍ، لم أمارس معها الحب أبدا في الضوء، تفرض علىّ الظلام، وتجعلني أمارس الحب مع شبح، ثم حدث لها مرض مثل كل كبار السن حيث بدأت ذاكرتها تتأكل وتنسي أشياء مهمة مثل الطعام على النار، أو اسماء أولادها، فعندما تنادي علي سالم، فتبدأ بمحمد، ثم حسين، يا علي يا واد أنت يالي تتغم في بطنك، أو تقولي لي هو أنت اسمك إيه؟ حتى أصبحت مادة للتندر

والسخرية، وفي يوم كنت على المقهى أدخن النرجيلة، وعندما عدت ودخلت الغرفة وجدتها ترتدي قميص نوم موف وتضع أحمر الشفاه، لم تكن تضعه بشكل جيد بل حولها لبلياتشو حقيقي، وعلى وجهها ابتسامة مشرقة،

تدر حول نفسها، لم تكن رشيقة فكان دورانها مثيرا للرثاء، استغربت ورغم ذلك أعجبني الأمر، فقد جاء اليوم الذي سأعاشرها في النور، وقد ضممتها إلي وقلت: لن تكبري يا بنت الإيه؟ خلعت ملابسها فبدت كماسة، انخرطنا في الممارسة تألقت فيه بشكل مروع، قامت بأفعال جنونية أخرجتني عن عقلي وكانت تخرج من فمي ألفاظ فاحشة فيزيدها شبقا وجنونا، مارسنا الحب وكأننا مراهقون وعندما انتهينا، لم أستطع أن أقوم للاغتسال ونمت في الحال، قبل أن تخرج من الحمام، و في الصباح كان جسمي ممزقاً، و مكتئباً وهذا يحدث لى دائما عندما أنام بدون اغتسال، أخذت دشاً باردا واسترخيت ثم وجدتها تدخل علي بالفطور ،وقد كان عسلَ نحلٍ وبيضا في زبدة وقشطة، وهي ترتدي روبا مثيرا، وترفع نهديها بمشد، كان هذا فوق احتمالي، لم أستطع الكلام، وظلت تنظر إلي في شغف وحنان، حتي أنني أسرعت في التهام الطعام كي أبتعد. لم أكن معتادا على هذا الإسراف العاطفي، ولكنني كنت سعيدا ومشبعاً بالفرح، وعندما وصلت الغيط وجدت الأولاد يعملون في الأرض كالعادة، ولأن طبيعتي لم تعتد البطالة فقد كنت أساعدهم في الزرع والقلع ،فالذي تربي علي الشقاء لا يعرف الراحة ولكن اليوم لم أستطع كانت بي رغبة للنوم، كنت خاملا جدا، شربت

شاياً ونمت في الخص حتى ميعاد الغداء ،ثم أكملت حتي العصر وعندما عدنا في المساء وتعشينا مع الأولاد دخلت غرفة النوم فوجدتها تغلق الباب وترتدي الروب وتتعطر ثم نامت بجواري على السرير وأخذت تتمسح في كقطة لبؤة، أخذت أقبلها وأمرر يدي علي ثديها ولكن لم تكن بى رغبة، ما هذا الجنون؟ وظلت فترة طويلة تثيرني حتى مارست معها الحب ،الغريب أنني استمتعت فعلاً ، في اليوم الثالث وجدتها أيضا تعاود الكرة، قلت لها لا رغبة لدي ماذا حدث؟ قالت: أنا زوجتك ولم تقترب مني منذ شهور؟ ما الذي حدث؟ قلت: نحن مارسنا الجنس مرتين أمس. وأول أمس؟ بدا عليها الحزن والانكسار وقالت: لم تعد تحب جسمي مثل زمان؟ أكيد فيه واحدة غيري، قلت أبدا والله، أقسم لك ما في الكلام ده خالص؟ نحن كبرنا وبيننا عشرة ويللا حسن الختام، قالت: لم أكبر أنا يدوب عندي 17 سنة، أنا لسه كتكوتة شوف، أخذت تدور حول نفسها ثم مدت يدها وعلى وجهها علامة الشقاوة والإثارة ومسكت خصيتي وأخذت تفرك فيها؟ شوفت! فرغتهم فين؟ ورب الكعبة فيه واحدة غيري، انفعلت عليها وارتفع صوتي فأخذت تبكي صعبت علىّ، المشكلة أنني أحبها فهي زوجتي ولن أسمح لنفسي أبدا أن أجعلها مكسورة أو مهزومة أمامي؟

أخذت أطبطب : أنت أكيد نسيتى فقط يا حب؟ إحنا عملنا كذا وأخذت أحكى لها، فقالت: خلاص خليها اليوم فقط وبعد كده اختار لك اليوم المناسب، قلت حاضر، لم أكن لدي القوة ولذلك ذهبت للصيدلية وأنا خجل فأنا لم أستعمل الكيميا أبدا

في العلاقة الجنسية ولكن ما باليد حيلة، طلبت من الصيدلي برشامة فقال لي: عندك القلب: قلت أبدا ولكن ربنا يستر، أخذت الحبة وطلبت كوب ماء من الصيدلي،وعدت وقد بدأت استعيد قوتي و طلبت منها عمل كوب شاي وظللت أشرب في هدوء وهي تجلس أمامي وكأنها ستحلق لى، وهي متوهجة وخدودها موردة وكأنها لفتاة صغيرة، الحق أقول: كانت تحفة فريدة، كيف غيرت جلدها، كيف انبثقت من جسدها القديم لتتألق كماسة فريدة في أخريات عمري، حيث ضمرت الصحة وأصبحت فقط أعد أيامي للقاء الكريم، بعد أن انتهيت من شرب الشاي التحمنا كذئاب مفترسة نهاجم بعضنا نخمش أجسادنا بأظافرنا نعض، ونضم جسدينا بقوة ،نقبل بافتراس، يلتف جسدانا كحيات متوحشة، حتي أنهكنا، وعندما انتهينا خرجت بعرقي وفتحت الدش وظللت واقفا، حيث تتدفق المياه فوق رأسي وأصوات تمخر داخل رأسي كموج البحر الذي يعصف بالشاطئ، خرجت مرهقا، ولحقت السرير وتمنيت من المولى أن أصاب بالبرد، حتى أنام في السرير وأشبع من النوم ولكن لم يحدث فقد قمت بشكل عادي ،وفي اليوم الرابع وجدتها تلعب نفسي اللعبة المجنونة. فقلت أسف أنا لن أستطيع أبدا معاشرتك هذه الليلة وجدتها تزوم بغضب فتركتها ،وسحبت البطانية علىّ وأغمضت عيني لأنام ولكن صوتها جنني فقد كانت تولول تقريبا على حظها العاثر، ثم قالت: بصوت لا لبس فيه، حظي العاثر أوقعني في زوج عنين، بارد سافل، ماذا تفعل الحرة، كانت هذه الكلمات كسكين في الجنب، ازحت البطانية من علىّ وقلت: إنت بتقولى إيه، وصفعتها على وجهها، فسقطت على الأرض وقد أطلقت صواتا، ووجدت أولادي يدقون

على الباب، سحبتها وهي في حالة يرثي لها وأنمتها وغطيتها بالبطانية وفتحت جزءً بسيطا يسمح لرأسي بالمرور وقلت: أبدا أمكم تعثرت وسقطت لكن الحمد لله، جت سليمة، أغلقت الباب وصالحتها وحاولت فعلا أن أمارس معها الحب ولكن لم تكن لدي رغبة وكنت أشعر بالقهر وأنني لا حيلة لدي وأنني مساق كعبد أو كفحل جاموس، شعور لا إنساني أخذت أعبث بنفسي ولكن كانت مجرد جلدة، خرجت للصيدلي وطلبت برشامة أخري، فنظر إلي نظرة تعجب وقال: الاستعمال المتكرر مش حلو، لم أرد عليه، أخذت الحبة وبلعتها بريقي وعدت للبيت عندما رفعت البطانية من على وجهها وجدتها مشرقة بابتسامة سعادة جنونية، قامت واعتلتني ،وأخذت تقبل فيّ حتي تحرك القضيب وأولجته داخلها، وعندما انتهينا كانت في غاية السعادة، وفى اليوم التالي أخذت تناغشني وتقول لي روح الصيدلي يا أبو سامي مع أننا لم يكن لنا ابن اسمه سامي، كادت روحي أن تخرج فتركت البيت وسرت في الشارع حتى وصلت لمقر الإسعاف وهناك مصطبة جلست عليها وركنت رأسي على الحائط واستغرقت في النوم، ولم أصح إلا مع صوت أذان الفجر، عدت للبيت وجدت البيت مقلوب علي، وهى تولول والأولاد في حيرة وغم، دخلت البيت ولم أولِ كلامهم أي أهمية، وعندما قمت من النوم وجدتها تضع أمامي طعام حمام ورز في الإفطار، عافت نفسي الأكل وتركت البيت فتشبثت بى كعلقة وأخذت تبكي وتقول لي لا تتركني، بترجاك وكأنها ممثلة هندية في مسلسل درامي، كدت أبكي من الغم والنكد، جلست على السرير وأنا أنظر إليها والدموع تسيل من عينيها، ولا أعرف ماذا أفعل في هذه المصيبة السوداء، تركت البيت،

وقضيت اليوم في الغيط أرتب في الأمر وأنا عائد للبيت مررت على الصيدلي أخذت برشامة رغم أنه رفض في البداية ،ولكني أصررت على الحصول على الحبة وعندما عدت للبيت وجدتها على هذه الحالة، مارسنا الحب برهافة ونعومة وعندما انتهينا استغرقت هي في النوم عكس العادة، كانت جميلة كعذراء، وبهية كدرويشة ونقية كطفلة، سحبتها ووضعتها على حجري وأخذت أملس علي شعرها وأدلك في فروة رأسها، كنت أحب ذلك ولم تسمح لى أبدا أن أقوم بذلك، لا أعرف لماذا، أدلك في رقبتها ووضعت وجهها بين يدي ولويت عنقها بقوة فشهقت وراحت في سبات أبدي

الكمان

.1.

في الفترة الأخيرة لم يكن ينام جيدا "مستر عبد الله"، وليل الشتاء طويل يتقلب فيه من جانب إلى آخر، خاصة أنه لا يستطيع القراءة، أو مشاهدة التليفزيون، لأن زوجته السيدة سامية عبد البر تظل تفرك طوال النهار، ما بين فتح المكتبة، حتى ينتهي اليوم الدراسي وشؤون المنزل، من طهي وغسيل ومسح، ورعاية الأولاد ... إلخ، لذلك عندما يهبط الليل وينتهي المسلسل الهندي، تضع أولادها في السرير، ثم تطفئ النور، لتستغرق في نومٍ عميقٍ.

يجلس في ظلام الغرفة، يسترسل في أحلام اليقظة، أو يستدعي فتاة ليمارس معها الحب، حتى يجد نفسه غارقًا في كوابيس سوداء، أخذ يرتب في المكتبة، ويضع على البنك الأدوات الناقصة، ثم جلس أمام الكمبيوتر، ليشاهد على اليوتيوب مقاطع فكاهية أو أغنية، وكان حظه حسنا، فبمجرد أن فتح اليوتيوب وجد عازفا للكمان أثيرا لديه، ضغط على المقطع، وانتظر صوت الكمان، ولكنه لم يخرج صوتا من الجهاز.

يري العازف العجوز يضع العود على كتفه وما بين يديه، ويعزف القطعة الموسيقية التي يحبها، والتي يشعر خلالها بالنشوة،

لذلك بحث بسرعة عن موضع الخلل، نظر في السماعات، وجد سلك السماعة قد قُطِعَ، أُحبط وقال:

عقاب أولاد الجزمة السفلة هيكون مريع.

عاد ليجلس أمام الكمبيوتر، يشاهد العازف الماهر، ويحاول أن يتخيل الصوت داخل أذنه، يبحلق ويرى وجه العازف، يتقلب وجهه ما بين الحزن والمرارة والإنهاك، ماضيه كله مطبوع على وجهه، ارتعاشة مفاجئة أخرجته من استبطانه، تركه يعزف وحده في صمت، وخرج للشارع يتلفت في حذر، فلا أمان في هذه البلدة، لذلك فإن كل شقائه في المدرسة والمكتبة والدروس الخصوصية للطلبة معرض للضياع، من يحميه؟ وهو بلا ظهر يستند عليه، فمن السهل لأي خطأ مهما كان صغيرا، أن يتم التنكيل به وسحقه، أو سرقة المكتبة، وهو الذي يعيش على الكفاف بالفعل، ولا يريد أن ينزل إلي مستنقع الفقر أكثر من ذلك، فهو لا يطلب شيئا إلا الستر، في بلدة تشغي باللصوص وقطاع الطرق والهجامين.

كل هذا بسبب الكمان، كل هذا بسبب الموسيقى.

أحس بالحسرة والمقت، لمكر الشر المعقد والكامن في مناطق وأوجه وأصوات يستحيل الكشف عنها، إلا بالصدفة، أو لرجل قضي عمره بالنظر العقلي المحض. شعر أن الموسيقى نوع من الشر، نوع قاسٍ يدفعك للوحدة والغربة، تستذكر فيه تواريخ ووقائع سوداء، شريط دموي يمر أمامك، تراه بعينك متجسدا، ووقائع متعينة، موت جارك وهو يذبح أو يحرق عاريا

ملطخا بالوحل، أو تجد ابن صديقك ينكب على أمه المقتولة وهو يستجديها أن تعود إلى الحياة.

جرح عميق في اللحم، يمس العظام، الروح فيه تهتك وتتعرى في مواجهة القوة الطاغية، الإجرام الذي يحولك لرقم، لماض، هنا ترى بعينيك ذاتك واضحة متجلية، ترى خوفك، خوفك وضعفك وهوانك، تظهر حقيقتك أمام ذاتك، وأنك في النهاية فرد عاجز وضعيف، في مواجهة وحوش، تغرس مخالبها بلا رحمة، تقتات على لحمك، تعري زوجتك ببلادة ووقاحة، دون أن تهتز، أو يرمش لها جفن.

.2.

رفض الطفل الأخير ،وقرر أن يحبطه، لقد وصله يقين ما أن المشاركة في هذه الجريمة عار، المساهمة في خلق كيان بريء ودفعه إلى عالم قاس مؤذ، بدون حماية أو أمَانٍ، لهو فوق كونه عبثا، هو سلوك أناني محتقر، لذلك بذل مجهوداً مضنيا كي يقنع زوجته المحبة للأطفال بعدم الإنجاب مرة ثانية، ورغم ذلك وقع المحظور، وخرج للدنيا غلام أسمياه "منير"، ليس تيمنا باسم المطرب "محمد منير" فهما لا يطيقان صوته، ولكن هذا الاسم ارتبط لديه بحلم تكرر، يرى نورا مبهرا بالسماء، أو نجمة كبيرة تتألق، أو يرى شهبا نارية تندفع بقوة، كان الحلم يتقلب دائما بين الحريق والنور، ترسخت داخله حالة من الانقباض والوحشة والظلمة المريعة، لذلك انقطع عن لقاء الأصحاب، وفضل العزلة والعمل، العمل بدون خطة أو طموح، فقط العمل والنوم ،والعمل والنوم، وفى ليلة شاتية، انقطع الناس فيها عن السير في الطرق،

وهو جالس أمام الكمبيوتر، يرتعش من البرد، ورغم ذلك يقلب في صفحات "النت"، حتى سمع بكاء، أنصت، كان ابنه منير يبكي بكاء موجعا وقاسيا، تجاهل الأمر في البداية، لكونه يعرف تدليل أمه له، بشكل "ماسخ"، وقد يكون طلبه غير واقعي، مثلما حدث قبل ذلك، حيث صحونا في منتصف الليل علي بكائه، حيث أراد الخروج من البيت ليلعب في الشارع.

"فكرة غبية انتابت الولد ، وأنا متعب وأريد أن أنام، وأمه تحايل فيه، وأنا أكظم غيظي، وعندما لم أجد فائدة، رميت البطانية من عليَّ، ونتشته من يد أمه، وسحبته، ونزلت به درجات السلم بسرعة، وكلما يكاد يسقط أرفعه، حتى خرجنا إلى الشارع، كانت ليلة سوداء، وعاصفة من البرد واجهتنا، أنا وهو، أنا وهو فقط، وقفنا في الشارع، هو يبكي، وأنا أرتعش من البرد والغضب والحنق، منتظرا أن يطل الجيران من الشبابيك، أو أسمع تقريعًا من عابر، خفت غضبي، لذلك تركته ووقفت، استندت على الحائط، شابكًا يدي في بعضها، منتظرا أن أعرف ماذا يريد من الخروج في هذا الوقت من الليل؟ نظرت، وجدت زوجتي بجواري، كنت أريدها أن تقوم بفعل ما، ولكن هي تعرفني جيدا، أنها لو تدخلت سيكون الأمر أشد سوءا، وقد أتصرف بجنون، لذلك التزمت الصمت، والولد لا يأبه بالصقيع، ولا بوقفتنا البائسة، كان يدور في شبه قوس، وقد صمت تماما، ولم يعد ينظر إلي، فقط ينظر إلى الأرض، خفت أن يكون الولد قد جن، أو أصيب بمرض ما، لم أجد حيلة، فاقتربت منه وهو يدور، ثم جلست في مواجهته، حاول أن يبعد وينفلت مني، ولكن

التقطته واحتضنته بقوة، حاول الانفلات، ولكن قبضتي كانت قوية، قيدته واحتضنته بالقوة، قلبي على قلبه، وأخذت أملس على ظهره فاسترحت، حتى استسلم، فصعدت به إلى الشقة، وظللت ألعب معه، وأجري وراءه، وأقوم بدور العفريت لكي يخاف، وأنا أضع على وجهي جلبابا.

- أنا العفريت الكبير، أنا العفريت الكبير، اللي باكل العيال الصغننين.

أمه تندمج في الدور.

- يا خراابي، العفريت الكبير الشرير، استخبى.

ويجري "منير" يختبىء وراء ستارة، وأنا أتظاهر بأنني لا أراه، ثم أنقض عليه، ساعتها يكون في قمة الإثارة والفرح، وأحمله، وأظل أدغدغ فيه حتى يتعب، وفي الصباح التالي، وكأن لم يكن، لا يتذكر أي شيء، ولم يعد يكررها مرة ثانية، ويطلب الخروج.

البكاء استمر بصورة أكثر وحشية، فتصورت أنها تقوم بضربه، المكتبة في الدور الأرضي، تركت الجهاز والمكتبة مفتوحة، وجريت بسرعة، صعدت درج السلم، حتى وصلت للباب، لم يكن معي مفتاح للشقة، وزوجتي لا تترك أبدا الباب مفتوحا، رغم أن الباب الخارجي للبيت مغلق، وأنا أدخل من باب ملحق بالمكتبة، لذلك كان يزعجه هذا الأمر جدا، فكون زوجته لا تجد الأمَانَ، كارثة وعار عليه، كيف تسلل لها هذا الشعور المقيت؟ رغم أني أحاول طوال فترة زواجنا أن أشعرها بالأمان، ولكن هناك داخلها خوف لا يتزحزح، حتى إنها لا تستغرق في النوم إلا بعد أن أغلق المحل، وأنام جوارها، شيء فاسد في هذا المكان.

دققت على الباب بقوة، وعندما فتحتْ الباب، دخلتُ مندفعا، الواد بيعيط ليه؟ تلفت في الشقة، لم يكن هناك صوت، قالت: الواد نايم، ضحكت مني، فشعرت بالحرج، وعدت مرة ثانية، ولكن ما زلت أسمع صوت بكاء طفل في هذا المكان، تركت المكتبة وخرجت إلى الشارع، لا يوجد أحد، فالشتاء يكنس البشر، والشارع خال إلا من عروق البرد، تتبعت الصوت الذي يكسر القلب، وكلما اقتربت يبتعد الصوت بقدر المسافة، بكاء يوجع القلب، أبحث وأتلفت، لعلي أجد مصدرا للصوت، ولكن لم أجد مكانا محددا، فقط صوت يخرج من البيوت كلما ابتعدت، وكلما اقتربت من الباب يبتعد، وأنا خائف أن يخرج فجأة صاحب بيت، ويراني واقف أمام بيته، لذلك تراجعت، يتبعني الصوت بعويل مفجع، حتي جريت خوفا، وصلت البيت، أرهفت السمع وأنا أغلق المكتبة، وصعدت إلى الشقة وأغلقت الباب، ونمت بجوار زوجتي ملتصقا بها، مرهف السمع.

كَوَابِيسُ الرُّواقيّ

لم يغادر البلدة رغم الإجحاف والأذى الذي تعرض له في مقتبل عمره، هناك أسباب متعددة لذلك:

-أمه، كانت تريده جوارها لذلك استخدمت أساليب دنيئة، ومنحطة لتثبته في المكان، "أحنا ملناش نصيب في خير بره، هو كده كل الناس تروح وترجع بالخير واحنا نرجع بالقهر والمرارة والمرض والعجز، والنهاية، كان طبيعي إنك تسافر لكن مشيت وراء الصيع وضيعت من عمرك ثلاث سنوات وبقيت رد سجون، ومين يجوز بنته لواحد زيك، لازم الأول تسعي للعمل وبعد كده تتجوز وتروح مع مراتك مطرح ما تروح.

-أسباب ذاتية، حيث فقد الرغبة في المغامرة، والجسارة وتحول لشخص يائس منعزلٍ

-الخوف من العودة للسجن مرة ثانية، أثناء محاولة الخروج سواء عن طريق رسمي ، أم تسلل.

تخرج في كلية الآداب وانضم لخلية شيوعية ،وتم اعتقاله وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، سنوات السجن لم تؤثر فيه، أو تكسره ولكن الذي ظل بقعة سوداء داخله كان ليلة القبض

عليه وسحله من قبل مخبر من أهالي البلدة، حيث نكّل به في الشارع أمام الجيران ومزق ملابسه وجره من شعره، كان يري الجيران تطل صامتة من النوافذ والبلكونات، أو تسير وراءه دون أن يتدخل أحد،

وعندما خرج قرر ترك العمل السياسي وهجر الشعر ،فهجره الشعر ثم بعد توسط كثير من الأقطاب اليساريين الذين يقيمون علاقات واسعة مع الدولة، التحق بالعمل كمصحح لغوي في جريدة قومية، ومع الزمن وفق في الزواج بممرضة، وأنجبت منه ولدين وبنتا واستسلم لروتين الحياة يذهب للجريدة ويعود مواصلات للبيت أخر النهار وعندما تيسر الحال قليلاً؛ اشتري سيارة بقرض من البنك يستقطع من مرتبة، السيارة كانت بالنسبة له السعادة القصوي فقد ارتاح من الجحيم اليومي في وسائل المواصلات، لم يكن له لذة سوي السيجارة والجلوس علي المقهي كل يوم بعد العشاء ينظر إلي المارة ويبتسم أو يتفرج علي لاعبي الدومينو من الرواد ولكن لا يشارك، ترك لحيته تنمو بعد خروجه من المعتقل، وقد انحسر شعر رأسه، ضئيلا ومهذباً فكان محبوباً من الجميع، لم يتنكر للفترة التي قضاها شيوعياً ولم يعتبرها مرحلة ومرت، في الذهاب والعودة من العمل في القاهرة للبلدة كان يمر بمنطقة صحراوية، لا تزيد عن ربع الساعة، في العودة ينحرف بالسيارة علي الرصيف ويقف مستندا علي السيارة ناظراً إلي الصحراء، في كل مرة يشعر أنه يعود إلي مسكن طيب وفي لحظة ما يستغرق فيها في التأمل يسقط في النوم، يري نفسه يخرج من خيمة، أو يطارد ذئبا في الصحراء، أو يُطَارَدُ من ذئاب جبلية مفترسة، أو يشوي

حملان في الصحراء، لم يكن هناك أحد لا قبيلة أو أفراد، لا نساء ولا رجال وحده في الصحاري، مع الحيوانات الأليفة أو المفترسة، لا فرق، صراعه معه منفردا، متعته معها منفردة، شهواته ورغباته يحققها منفردا يشعر بأنه من هناك وأنه عاش أزمانا وكله داخل الصحراء، لم يعش بالمطلق في حديقة، أو نهر، أو قصر، هناك دائماً فرس يتبعه، أو يتبع فرسا، كانت الحياة مع الضواري رحمة، ثم فجأة ينبه كلاكس، أو صوت يتصور إنه في حاجة لمساعدة، فيعود ليركب السيارة ويعود للبلدة يمارس روتينا يوميا كانت تلك اللحيظات، إشراقا روحيا بهيا يجعله يستمر في الحياة.

2

بعد عشرين عاماً ،وجد اتصالاً تليفونياً من صديقة أمين محمود الذي قام بتجنيده وقد كان يتميز بثقافة رفيعة وله وجهة نظر راديكالية تجاه الرأسمالية والنظم العسكرية التي تلتهم مقدرات الأمة وتقف حجر عثر أمام انطلاق الثورة المصرية بما تمتلكه من إرث مادي ضخم ورعاية من الدول الغربية الاستعمارية وكان الأكثر جسارة في مواجهة زبانية السلطة الباطشة، وعندما خرجنا من المعتقل اختفى حتى ظننت أنه مات و بطبيعته الجديدة لم يكن يسأل عن أحد،أو يزور أو يزار ،كان فارغاً ولدية خزى بسبب هشاشته وتخليه عن حلمه وعدم التحقق في الحياة،

«وصلني شيء أن العيب ليس في الخارج ولكن داخلي، داخلي أنا سواء كان الداخل تكوينا فطريا، أو مكتسبا ولكن الحقيقة أني خاسر بشكلٍ ما بمعني طلبت السلطة منيّ إغلاق فمي وعدم الكلام فى السياسة ولكن هل طلبت منيّ التوقف عن كتابة الشعر؟ هل طلبت منيّ أن أكف عن القراءة في الفن والثقافة، أم أن العقم متجذر فيّ، الحياة لغز فارغ وبلا معني وكل الحكاية أننا سقطنا في منطقة (سين) وعلينا أن نسير إلي منطقة (صاد) ثم نسقط مرة ثانية لا نعرف إلي أين؟ وسواء بذلت جهود خارقة أو جلست علي كرسي وتأملت العالم والبشر والعلاقات الإنسانية شديدة التعقيد ثم تبتسم وتعود للتأمل مرة ثانية».

- حبيب قلبي فينك
- موجود من معايا ؟
- محمود أمين يا بني نسيت الأب الروحي لك
- إزيك يا أستاذنا كيف حالك بخير
- عايز أشوفك
- تحت أمرك نتقابل فين؟

اتفقا على الالتقاء في وسط البلد وعندما تقابلا وكالعادة تبادلا الأحضان والذكريات، طلب منه ممدوح أن يجدا مكانا بعيدا عن موطن المثقفين الطفوليين الأوغاد، ولأنه لم يكن خبيرا بمقاهي القاهرة، ولم يعد من رواد المقاهي، فقد ظلا يدوران في الشوارع الجانبية، حتي وجدا مقهي معزولا في ممر ضيق في عمارة الفنان أنور وجدي، وقد سعد ممدوح جدا عندما

علم أنه هجر الشعر تماماً لا يعرف لماذا؟ وحكي له عن حياته في السويد ونجاحه في تأسيس مركز لتأهيل ومساعدة الفئات المهمشة وضحايا التعذيب من الدكتاتوريين العرب الأوغاد ثم كلمني عن روايته الأولي الذي روي فيها تجربة السجن والتعذيب الإجرامي من المرضي النفسيين القتلة وغضب من عدم متابعة أخباره رغم انتشار أخباره في الصحف المصرية، وأنه جاء إلي مصر لحضور مؤتمر الرواية بدعوة من السيد جابر عصفور رئيس المجلس الأعلى للثقافة وإن كتبه يحتفي به في كل أبواب وزارة الثقافة، وأن لا يمر عام إلا ونشر، أو أعاد طبع كتاب في مصر، ثم أنطفأ فجأة وقال: أولاد الحرام حرموني من الحصول علي جائزة البوكر ،وأنا الأحق بها وإن روايتي ذروة العمل الروائي في العالم العربي بل تقارن بروايات الكبار في العالم، ومن كلامه عرف أنه داخل "جيتو" ضخم من المثقفين المغتربين، والذي يقوم فيه بدور قوي من خلال تخليص مصالح مادية ورمزية، والتي كان يراها الدفعة القوية التي ستكرسه كأهم كاتب للرواية في العالم العربي، وفي نهاية اللقاء اتفقا، علي أن يرسل له روايته الجديدة التي سيدفع به للمطبعة من خلال دار الجمل للنشر في بواكير العام الجديد لمراجعتها وإرسالها له من خلال البريد الإلكتروني ثم أخرج مطواة وناولها له كهدية، انزعج انزعجاً شديداً ورماها علي الطاولة فكانت تبرق علي المباني، مع اهتزاز الطاولة، ظل يحدق مرة لصاحبه بدون تركز ومرة لبريق المطواة، وكلما ركز أكثر في لمعة المطوة والشفرة الحادة القاطعة والسن الرفيع، جعلته مضطرباً وحائراً، هل يرفض المطواة وهو المسالم، الذي يعيش

في الهامش، يعيش داخل الحائط وليس بجواره، ثم قال: وماذا لو أخذتها وفي حاجز مروري تم تفتيش السيار ة و(اتهفيت) ستة أشهر سجن علي ما قسم " لا، لا، لا، وأزاح المطواة بيده، ثم سحبها وأخذ يغلق ويفتح فيها في رتابة وهو يبحلق في وجه صديقي دون أدني تركيز، ثم قام صديقه والتقط علبة السجائر والولاعة والحقيبة، في تلك اللحظة سحب المطواة و وضعها في الحقيبة، وسارا بعد ذلك حيث أكلا في محل كشري، وأشتري ممدوح علبة حلويات من العبد وناولها له،للأولاد، وفي النهاية أخذا بعضهما بالأحضان وهو ركب سيارته،وعاد للبلدة دون أن يتوقف بالسيارة في المكان المحبب، قد كان يفكر في المطواة وتذكر صدفة وقعت للشاعرة الروسية "مارينا إيفانوفنا تسفيابيفا" حيث أهداها الشاعر الروسي الكبير حبلا لتربط به حقيبتها فاستعملته كوسيلة انتحار، إنها الصدفة البحتة فما دام السلاح حضر وجب استخدامه، هلع عندما وصل لهذه الفكرة، ورماها ثم أوقف السيارة وعاد، حمل المطواة ونفضها من الرمل العالق به ودسها في جيبه، وكل آن يضع يده في جيبه ويتحسس المطواة، كان قلقا في الفترة التالية، وعندما يعود من القاهرة ويقف في مواجهة الصحراء لا يشعر بأي شيء فقط قلق وتشوش، ثم يغادر مسرعا، عندما ذهب للمقهى وجد المخبر يجلس علي إحدي الطاولات وعندما رآه أخذ يضحك بفجاجة، إزيك ياد يا شيوعي، إنت لسه كافر برضو، تصنع الضحك وسلم عليه في ود وجلس بجواره وطلب له شايا، وتسامرا في عن الحاضر والماضي، كان التدخين والمخدرات قد خربت صدره وكل آن يظل يكح ويخرج بلغما أزرقا ثم يضعه في يديه ويرميه

بعيد في الشارع وأحيانا تسقط علي ملابسه،ثم قال وعلامات الندم علي وجهه

-إحنا ظلامنا ناس كتير، لكن أنت أنا ما مكنتش بضربك إلا لمصلحتك, أرجعك لعقلك الطايش اللي متصور إنه هيصلح الكون، الحياة اتبنت علي كده، الكبير كبير، والصغير صغير، ورفعنا بعضكم درجات، واحد زيك كده، أهله ناس غلابة مش لاقيين اللضا ولا حيلتهم إلا الستر يجي عيل طائش زيك يبهدلهم، أخذ يتحدث وهو يغلي وكأنه علي موقد، هذا التحقير جعل كل الماضي يطفو علي السطح، يسترجع كل تفصيله بهدوء حتي أنه لم يعد ينتبه لما يقول ينظر إلي فمه فقط وكأنه يري فيلماً صامتاً ثم قام وقال له حاسب علي المشاريب، وتركه وهو يعكز علي قدمه اليسرى قليلاً، دفع الحساب وعاد للبيت أخرج المطواة من درج المكتب ووضعها في جيب البنطلون ونزل للشارع، كان يعرف أنه بعد خروجه للمعاش يذهب للصيد في النهر بعد صلاة العشاء، هو وحده أحيانا، وأحيانا مع أخريين، تتبع أثره كظل، وعندما حانت الفرصة، حيث الليل والظلام وصمت النهر، وضع يده علي كتفه وقال له: بقالي عشرين سنة نفسي أنزل البحر ،ولا مره جرؤت علي النزول، انتبه علي الصوت وعرف من يتحدث وراءه فرمي السيجارة التي في يده بعد أن دخل الدخان أنفه فبدا يكح وهو يلهث محاولاً التقاط أنفاسه،

-البحر قدامك أهو يا خوي، أعمل دكر مرة

-أشرب شاي الأول

-العدة موجودة

-فين

-مش هتعرف.

وعندما قام وأصبح في محاذاته بجسمه الضخم وهيئته المرعبة، أخرج المطواة وأخذ يغرسها في كرشه بسرعة طلقات مسدس وكأنه كان يتدرب عليها

-يا بن الحرام دا أنا كنت بحبك زي أخويا الصغير وسقط علي وجهه ميتاً

أخذ يجرجر في الجثة حتي دخل بها في عمق النهر وتركها تتحرك في بطء

عائلة الرزايا

أنا من عائلة كثيرة العدد، تقطن بريف محافظة الجيزة، ومصادر رزقها محدودة، لذلك كنت تجدنا غاضبين، و»شرانيين»، حتى إن عمي كان مع تباشير الصباح، يدعو الله أن يرزقه بمصيبة سودة، لذلك أطلق علينا أهالي البلد «الرزايا»، بعد انتشار الاسم الجديد ظل جدي يقرض علي أسنانه في غلٍ وحسرة، لأنه لم يعرف من الذي أطلق علي العائلة هذا اللقب، ليس لأنه يشعر بالخجل من الاسم، أبدا، ولكن لأن هذا مبرر كافٍ لنصب المعركة، اختفت أسماؤنا الحقيقية وأصبح الناس مع الوقت ينادوننا بالرزايا، مثل: كبير الرزايا، الرزية الوسطاني، الرزية القزعة، الرزية الاهبل ، الرزية الصغير، الرزية الهباب، نستغل أي إشارة لكي ندخل في عراك دام، ولا يدخل واحد فقط، الكل يخرج، نساء، أطفال، رجال، شيوخ، لا فرق، تجمعنا الشومة والعصا والمطواة والخنجر .. إلخ، ولا ندخل البيت إلا عندما لا نجد حيلة للاستمرار، حتى لو قتل من العائلة نصفها، لا يهم، حتى تتدخل الشرطة، أو يغلقوا على أنفسهم البيوت، وقد تتصور أننا نعود دائما منتصرين، هذا غير حقيقي بالمرة، فقد نعود، منا المحمول على الأكتاف، ومنا من يجر رجلا، ومنا من يركب

الحمارة ويذهب لمستشفى القرية، ومنا ومن يعرج قليلا, ومنا جثة هامدة تنتظر الحمل للدفع باتجاه المقبرة، نحن يا سادة بهائم فعلا، عندما تنظر لواحد من العائلة ستتذكر حيوانا ما، فهذا ثور، وهذا خروف، بغل، حمار، جحش .. إلخ، نحن نعرف ذلك، فهذه الحياة «الوسخة» علمتنا أن من يعش إنسانا ويتعامل مع البشر على أنه إنسان يُسحق، التضحيات التي دفعتها العائلة والكفاح في الاستحمار، أكسبت العائلة مع مرور الأيام مهابة وأمانا، فمن يتجاسر علي نهب حقوقنا، أو سرقة ممتلكاتنا؟! لقد استطعنا الاستيلاء على أكثر من ألفىّ فدان من ممتلكات الدولة، أقمنا المشاريع والبيوت علي الأراضي الزراعية، حصلنا على كميات ملح وأسمدة كيماوية من الجمعية الزراعية والإصلاح الزراعي، على مساحات حقيقية وموهومة، نلنا وظائف الحكومة بالواسطة الجبرية، حاولنا دخول مجلس الشعب، ولكننا فشلنا فشلا ذريعًا، لذلك كان دخولي المدرسة وتعليمي استثنائيا، وقد جلب علىَّ رزايا لا تنتهي، فالكل في مراحل التعليم ينظر لي نظرات عدائية، المدرس، الناظر، الفراش، التلاميذ، وفى كل الأحوال الكل يتجنبني، أو يمرر لي رسائل كراهية بطريقة غامضة، ورغم تفوقي ظل الأمر على ما هو عليه، فلم يكن لدي صديق حميم، ولم أشارك في لعبة جماعية، أو أتبادل الأسرار مع أحد، أو يفسدني صديق بجرّي للتدخين، أو أي سلوكيات عدوانية، كنت محجوبا عنهم لا يروننى، فقط المذاكرة ورياضة حمل الأثقال، كانت أمي هي من صممت على دخولي المدرسة، لا أعلم لماذا؟ رغم أنها أنجبت ثلاثة عشر ولدا وبنتا، ولم تبد رغبة في دخول أحد المدرسة، ولكن أمي توقفت عندي وقالت:

يدخل المدرسة، ولأن للعائلة رأس وكبير، فلا يجب أبدا أن تأخذ القرار امرأة ناقصة عقل ودين، وحدث صراع ظل مكتوما، فجدي الكبير كان يشبه الممثل المصري «شفيق نور الدين»، قد قارب علي المئة عام، ولكن داخله صلابة وتوقد، لذلك سحب نفسه علي عصاه، وتمدد كحية رقطاء، «أبدا، الواد ده من باكر ورا الغنم».

في نهاية الجولات دخلت المدرسة، لذلك ظلت أمي بالنسبة لي هي سندي في هذه الدنيا الغادرة، حتى تخرجت من كلية التجارة، وعملت محاسبا في شركة مقاولات، وازدهرت أحوالي المادية والاجتماعية، وتزوجت من فتاة من أكابر العائلات في البلدة، وقدمت أكبر مهر يدفع لفتاة، مما جعل عروستي موضع حسد عائلتها قبل الأغراب، زوجتي فاتنة لها ملامح آسرة وجسمها تحفة، فريدة فعلا، وأصبحت أجالس كبار البلدة، أحضر الأفراح وأقوم بالتعزية، ويتم استقبالي في كل المناسبات بترحيب مبالغ فيه، أحضر حل المنازعات، يتم تقديمي على كثير من رؤوس العائلة، وابتنيت لي فيلا عشت فيها منفصلا عن العائلة، واستقدمت أمي لتعيش معنا، وكانت في غاية السعادة، بسبب معاملة زوجتي لها، واهتمامها بنظافتها الشخصية.

وفي ليلة وجدت يدا تدق على باب الشقة، ارتعبت وقفزت من على السرير، وقلت: استر يا رب، فتحت الباب، وجدت أمي تقف ذاهلة ودموع تترقرق في عينيها.

-مالك يا أمي؟ حد زعلك؟

-أمك أهينت.

-مين اللى يقدر يهينك يا أمي؟ متقوليش الكلام ده، عمي «معوض» غلط فيكي بكلمة؟

-لا يا ولدي، عمك «معوض» بيتمنى لي الرضا.

-مين يا أمي؟ قولي، فيه مرة من نسوان أخواتي فتحت فيكِي؟

-لا يا ولدي.

كانت أمي تتكلم وكأنها مخدرة، هي أمي، والصوت يخرج من حنجرتها، ولكنها ليست أمي، هناك أحد ما يتكلم بلسانها، أمي مسها جن، أو خطت كتابة.

-بربي يا أمي اتكلمي، ريحيني، قولي فيه إيه؟

-ابن عبد العزيز أبو القمصان أهان أمك وسبها، واتهمها اتهامات باطلة، وشد الفرع من رقبتي قطعه، وانفرط العقد اللى جايبه جدك أبو إسماعيل من الحج، دهب حر عيار 21.

-غريبة، وحصل الكلام ده فين؟ وأنتي من 15 سنة لم تخطي عتبة البيت؟

-أنت بتكذّب أمك؟ وأخذت تلطم على وجهها.

-خلاص يا أمي أنا غلطان، معلش، سامحيني.

-أمك هتموت، ولازم تريح بالها، أنا عمري يا بني ما طلبت منك طلب أبدا، طلب واحد، جثة ابن عبد العزيز أبو القمصان، وأشرب دمه، زي ما هان شرفي وأنا الشريفة العفيفة، بنت

الرجالة وأم الرجالة، وزوجة عبد الحليم عبد الفضيل المرزوقي حسين، اللي عاش طول عمره راجل يتعمل حسابه.

أخذت أضرب كفًّا بكفّ، وقلت في سري «أى هاتف أسود، أى طائر شؤم، زعق باسم الولد: إيه المصيبة السودة دي؟ إيه الخية الهباب اللى وقعت فيها؟» كانت الدموع تنزلق بهدوء على خدها، صعبت علي أمي، ولم أعد قادرا على تحمل بكائها، احتضنتها، وأخذت أطبطب عليها، «معلش يا أمي امسحيها فيّ»، فزاد عويلها وأنينها المؤلم.

-حاضر يا أمي يموت ابن عبد العزيز أبو القمصان، بس مين فيهم يا أمي؟

-الواد ناصر.

-ده واد غلبان يا أمي، ولسه متخرج من الجامعة.

-غلبان! بتقول لأمك غلبان؟ بتدافع عن اللى هان أمك، ياخسارة تربيتي فيك، ياريتك كنت طلعت بنت، على الأقل كان هيكون عندك عذر، وعادت تلطم على وجهها، وقطعت التربيعة، وأخذت تشد في شعرها، ثم سقطت على الأرض، وأخذت تتمرغ على البلاط، جاءت زوجتي مذعورة نحونا، فصرخت فيها، ارجعي، ارجعي، ثم أخذت أحاول أن أقيدها بيدي، ولكن كانت عفيه، حتى أرهقتني، فتركتها وأخذت أبكي وأنا أقول لها:

-حاضر، حاضر يا أمي، بكره أرتب الأمور مع أخواتي ونجيب تارك.

-حالا.

-حاضر، كلامك يتنفذ بحذافيره، لكن باطلب منك تفكري شوية، مش في مصير الواد، لكن في أمه، لما تستلم جثته مغدور.

-إهدار كرامة الحرة بيساوي الموت، مفيش كلام تاني، هو اللي حدد مصيره، ووقف قدام القطر.

كان حديثها قاطعا راسخا، لا يحمل أي تردد من أي نوع.

نكست رأسي وأنا أشعر بالعار والخيبة، وأن مصيري قد يتغير تمامًا، وأن علي أن أستعد لحياة ثانية، لشخص آخر يحمل مشاعر وأحلاما وأفكارا مختلفة، هززت رأسي علامة الموافقة، وانتظرت أن تقوم حتى أفكر فيما سأفعل بعد ذلك.

هدأت تماما، وقامت فاردة طولها، وعادت مرة ثانية إلى غرفتها، سحبت العباية ورميتها على كتفي، واتصلت بالأخوة، ونزلت أنتظرهم في البهو، حتى أفتح لهم، ونناقش هذه المسألة، ثم تذكرت زوجتي فعدت إليها ونبهتها ألا تدخل إلى غرفة أمي، لأنها تمر بظروف نفسية سيئة، نزلت وانتظرتهم، وسرعان ما تتابعوا دخولا، واحدا إثر الآخر، حتى اكتمل العدد، حكيت لهم بالتفصيل ما حدث، وهذا الطلب غير معقول برأيي لأمي، ولكن الغريب أن إخوتي دمهم فار من إهانة أمي، وحاولت أن أبين لهم أن أمي لم تخرج منذ 15 عاما، ولكن لم يأبه أحد بكلامي، وأنا الذي كنت أتصور أنهم سيفكرون في حل نخرج به من هذه الكارثة، ولكن كلما مر الوقت وجدت إخوتي يزدادون غضبا، وتزداد رغبتهم الأكيدة في الانتقام،

«خلاص، اللي تشوفوه، أنا أول من وافق، وآخر من عصى.

قالوا في صوت جماعي «خلاص، اتفقنا»، وفي لحظات، كانت العبايات فوق الرجالة، والشوم في الأيدي، وقد خرجنا في ظلمة الليل، نبحث عن ثأر أمنا.

الفصول الأربعة

إلي الملهم: أنطونيو فيفالدي

الربيع

1

أذهب يومياً لمدرسة «أبوغالب» الإعدادية المشتركة بالحمارة ،حيث بيتنا في الجزيرة التي تبعد عن البلدة مسافة طويلة، ثم أترك الحمارة في عهدة عم عبدالفتاح وعندما ينتهي الدوام المدرسي أفك المقود وأركبها وأضربها لتسرع, حتي لا يلحقني التلاميذ الشياطين و يحتجزوني و يسلبونها منيّ ويركبونها ويجرون بها وأنا أجري وراءهم، وعندما آخذها منهم، أجدهم يوقعوني مرة ثانية وشنطة المدرسة تسقط بعيدا عني والكتب تتبعثر والحبل يفلت من يدي فيقفز تلميذان أو ثلاثة عليها ويضربن الحمارة فتقمص وترفس برجليها وتجري مهرولة في شوارع البلدة وأنا وراءهم، و أزووم زومات متقطعة قارضاً علي أسناني ويخرج مني سبابٌ كالقذائف سريعة الطلقات يزيد التلاميذ ضحكاتهم وسخريتهم وتقليدهم لي، أعاني من النطق، فأفتح فمي لأنطق فيخرج الكلام بشكل مثير للضحك والسخرية وهذا يعرضني للمتاعب مع المدرسين والتلاميذ وأعود مضروبا في الغالب ومسلوخ الوجه، والشيء المرعب أكثر من الضرب

والسخرية عندما يطلب مني الأستاذ حل مسألة علي السبورة، يا دهية دقي، تمسكني الرعاشة وركبي تخبط في بعضها وأسناني تصطك ويخرج الكلام من فمي ملضوما في بعضه والتلامذة ،أولاد الشياطين يقهقهون ويضربون علي الدكك والأستاذ ينتابه غضب رهيب ويظل يضرب فيّ بدون توقف وعندما أشتكي لأبي يقول» لي سايس أمورك»، ويعتبرني المُلام، ويتهمني بالضعف والرخاوة ولا يعلم أنني لا أخوض معاركي مع عيل واحد ولكن مجموعة، وكلما انفردت بعيل وحده أذقته المر، وفي يوم رأيت تلميذا منهم يسير أمامي غير منتبه لمن يسير وراءه، وقد عرفته من ملابسه، فرفعت الخيزرانة ونزلت ضرب ضربات سريعة علي ظهره، وجريت بالحمارة وعندما نظرت خلفي اتضح لي أنه ليس التلميذ المقصود، وأنه تلميذ في الصف الأول بالمدرسة الصناعية، ارتعبت وعرقت وأنا أتخيل العقاب الذي سأناله يوم أن يقابلني وأخذت ألوم نفسي علي التسرع الهمجي الأحمق وأنني سأنال عقابي وعندها قررت أنني لن أشتبك معه سأتركه يفش غله ويضربني قلمين ثلاثة ويتركني أسير في حالي.

لا أريد الذهاب للمدرسة، ولقد هربت من المدرسة أكثر من مرة، وكل مرة أنال علقة ساخنة من أبي أو أمي، وعندها لم أجد حيلة أخري، قررت الاستمرار في التعليم وعندما جاء أخي سائق الأتوبيس والذي يعيش في «المطرية» في أجازة مع زوجته المصرية :سعدت سعادة غامرة، وكانت هذه الأيام أشبه بالعيد، خاصة أن أمي تذبح كل يوم «دكر بط» وتطهو أرزا وخضارا، وأحضر أخي لي بيجامة مخططة وناعمة وملابس

داخلية قطنية، فكدت أطير من السعادة، أنا أحب زوجة أخي كثيرا، وكنت أظل أتتبعها وأكلمها طوال اليوم، وأطلب منها أن تحكي لي عن مصر والعربيات والسينما، أظل أتكلم حتي تأتي أمي وتسحبني وراءها « أنت ما بتفصلش، رغي، رغي، ارحم مرات أخوك شويه يا بارد، تركت البيت محبطا ونزلت البحر، الجو بارد وقد انحسرت المياه وتركت بركاً صغيرة فخاً لكثير من الأسماك الصغيرة، التي ماتت مع جفاف البرك والتصقتً بالطين، الحشائش نمت هناك برك كبيرة تحتوي الكثير من الأسماك، أنا صياد ماهر وأعشق البحر وكنت أتمني أن أشتري مركباً وأصيد في البحر ولكن خجلت من أن أقول ذلك أمام أبي الذي يحتقر الصيادين ويعتبرهم «أولاد مفيش» أبي يمتلك فدانا من أخصب أراضي طرح النهر، إضافة لفدان أخر مزروعاً بالتين الشوكي ،مقابل الجزيرة في زمام البلدة، أبي أصيب بجلطة بعد أن مات اثنان من أبنائه، الأول مات في الجيش ولم نعرف كيف مات حتي الآن، كل ما نعرفه أنه مات في عملية ، ضد من ؟ الله أعلم والثاني وقد كان طفلاً جرفته أمواج البحر في فترة فيضان ولم نعثر عليه أبدا، نحن أسرة من ثلاثة أولاد بالتتابع :صلاح الكبير الذي يعمل سائقاً في هيئة النقل العام وتزوج واستقل في شقة بالمطرية، و سلامة وبنتان الكبيرة أكبر منيّ والثانية أصغر مني.

يعيش أبي في عزلة أبدية ، حيث يعاني من ثقل في اللسان وعقله لا يسعفه في التعبير عما يقول، لذلك يدخل في مواضيع خارج السياق، ثم ينتبه فيقول أه، أه، كملوا، كملوا، ثم يصمت

لا يكلم أحدا، ولا أحدَ يكلمه، هو في حالة، يتحرك في دوائر بسيطة من البيت إلي خارج البيت حيث يجلس في مواجهة البحر يفكر في ماذا؟ لست أدري.. وقد حاولت أكثر من مرة أن في ماذا يفكر أو ماذا يريد وعندما أُضيق عليه الخناق، يغضب ويعفرني بالتراب، ويقول: اسكت يا حزين، اسكت يا حزين، أتركه وأجري بعيداً، وعند المساء أكون متحفزاً وفي انتظار أن يضربني أو يوبخني، ولكن لا أجد أي أثر علي وجهه أو يغير عاداته، أما أخي سلامة فقد كان يقوم بزراعة الأرض بعد أن هجر التعليم وتكرر وهروبه وتعلم تدخين السجائر بصحبة شلة أصدقاء السوء، فكان يقضي النهار في العمل بالغيط وفي المساء يعمل عند الآخرين بأجر لحسابه الخاص، أبي لم يكن يكلمه، أو يعنفه ولكن أمي هي من كانت تسلخ جلده بالكلام «المنقي»، وكانت تحدث بينهم مشاكل رهيبة حتي أنه يظل أياما خارج البيت حتي يذهب عمي أو خالي صلاح ،ليعود به مرة ثانية ثم دخل الجيش وظل مجندا ثلاث سنوات وعندما انتهت خدمته في الجيش، أخذ يلح علي أمي حتي يتزوج وعندما أقنعت أبي اختار بنتا لم تكن أمي ترتاح لها أو لهم

-الناس دي لا من ثوبنا ولا أحنا من ثوبهم يا حبيبي.

-وربنا ما ينفع أرعي حية في بيتي.

دخل سلامة المخزن وفتح غرفة نضع فيه أدوات الزراعة والسموم وتناول لترا سما وجري في صالة البيت للخارج وهو يردد أنا شربت سم، أنا شربت عشان ترتاحوا وتشربوا رايق..

أمي أطلقت صوتاً وجري الجيران نحوه وشموا فمه وتأكدوا من تسممه وجيء بالحمير وانطلقوا حتي وصلوا المستشفي وتم إسعافه وظل أسبوعاً يأكل المشتهي ،ويدلل بشكل مبالغ فيه وبعد شفائه تمت الموافقة علي زواجه وقد باع أبي ستة قراريط من أرض الجزيرة ،وتم الزفاف وبعد فترة من الزواج أخذت زوجته توسوس له للسفر للخارج وعندما طلب منها أن تبيع جزءا من مصاغها رفضت رفضاً تاماً فأخذ يلح علي أمه حتي باعت له الحلق الذهب ،ودفعها لسمسار من أجل عقد عمل في الأراضي الحجازية ،وبالفعل سافر وظل هناك ثلاثة أعوام، وعندما عاد احتفظ بالمال لنفسه وإن ظل يصرف علي البيت ثم أن زوجته (القطة المغمضة)، بدأت تتفرعن وتتقي كلاما وسخا وتبخه في وجه أمي التي تمضغ الحجارة كي لا تغضب ابنها، وعندما تمادت قامت غسلتها ونشرتها وجعلت الشبشب القديم أعلي منها، ثم عندما عاد أخي وجد أمي تبكي وحكت له ما جري، وعندما دخل علي زوجته وجدها تبك دموعا، نام الجميع وفي الصباح قدم الإفطار عاديا أو هكذا تصورت أمي، ولكن المفاجأة ألجمتها عندما وجدت عربية الأسطي أحمد عبد المولي واقفة قدام البيت بعد العصر ومعه أصحابه ودخلا بدون إحم ولا دستور وتم تحميل العزال، وترك البيت وأجر بيتا في البلد ثم بني بعد ذلك بيتاً كبيراً بالمسلح ،وعندما انتهي منه نقل فيه وقد شطب علي الفلوس، ولأنه كان من الصعب عليه أن يعود للعمل كأُجري مرة ثانية لذلك باع ذهب السنيورة وتوكل علي المولي، وعاد للهجرة، للعمل في السعودية تاركاً زوجته وولده، وبدأت تتناثر شائعات في البلد عن زوجته ولكن أنا لم أدقق في الأمر وتجاهلته تماما.

2

للوصول للجزيرة أمرّ بدرب ضيق يخترق مساحة هائلة من أشجار التين الخالية من البشر، بسبب طبيعة التين فهو لا يحتاج لعناية دورية، فقط يروي مرتين في العام ،وتجمع الأصابع في حدود أربعين يوماً تقريباً، باقي العام فضاء مصمت، ومرعي للذئاب والكلاب الضالة، وكل الزواحف السامة، إضافة للجن والعفاريت والمسحور، عندما يرسلني أبي لأشتري شاياً أو سكر بالليل عند نفاد الكمية، أصاب بهلع وأرفض الذهاب:

-خايف من إيه يا جبان يا بن الكلب

-هتروح يعني هتروح

-إندب زي النسوان يا عرة

لذلك كنت أستدعي الله من خلال الدعاء وقراءة، سور القرآن بصوتٍ عالٍ، حتي أشوش علي المخاوف داخلي، والمواظبة علي الصلاة، حتي أصبحت جزءا من روتين حياتي فمهما كنت مرهقاً أو نفسيتي مضطربة فلا أترك فرضاً، حتي أنني لا أستطيع أن أنام إلا بعد أن أصلي صلاة العشاء.

في يوم كانت أمي فى السوق و رأت نسيب أخي يرتدي جلباباً من الكشمير وشالاً علي رأسه، استغربت فنسيبهم حالتهم لا تسر بسبب ضيق الحال وعندما التفت ووجدها أمامه سلم عليها مرتبكاً وعرفت منه أن ابنها عاد من السعودية من أسبوع،

حملت المشنة التي تضع فيها الخضار الذي اشترته من السوق وانطلقت وهي تكاد تنفجر إلي ألف قطعة

ودين ربي لأشيل عليه نيلة

عندما وصلت رأته في الفراندا مع وجود أصدقائه والحلوة قاعدة تعمل شاي، لم تسلم ودخلت بسرعة للبيت وهو لم يرها ولكن زوجته نغزته «أمك جت «ولعبت حواجبها ورقعت ضحكة، قام علي أثرها

ـ اقعدي يا بنت الوسخة يا شرموطة

ـ كده

دخل عليها فوجدها مشتعلة بالغضب حاول أن يسلم عليها ويضمها ولكنها كانت تزوم وتشاور بيدها لا لا ، ووجهها ممتقع بصفرة وتصلب موتي ثم أخذت تضرب علي بطنها وهي تردد لو أمك زانية ما كنتش تعمل كده، يا بن بطني ثم أخذت تضرب علي وجهها حتي سقطت علي الأرض وقد غابت عن الوعي ودخلت زوجته وأصحابه وأخذو ا يرشون علي وجهها ماء وكولونيا وعندما أفاقت أخذ يعتذر لها

سامحيني يا أمي.. أنا غلطان وفي المساء دخل البيت هو وزوجته بملابس لها ولأبي ولي ووضع في يديها مائة جنية فطابت نفسها

3

بيتنا في أعلي مكان في الجزيرة ولا جيران لنا فنحن الوحيدون المقيمون ،والآخرون يأتون ويعودون لمنازلهم في البلدة ،ولا أعرف لماذا نحن هنا وحدنا، ولذلك تنتابني فترات أشعر فيها بالظلم من الوحدة في هذا المكان البشع وتنتابني كوابيس مريعة لا تنتهي ،فمثلاً أحلم بفيضان هائل يغرق الجزيرة ويجرفنا التيار، أو مجموعة من الأفاعي السوداء وتلتف حولي وتمزقني شر تمزيق، أو تحيطني الزواحف والحيوانات الضارية وتنهش فيّ.

في الأيام التالية تقدم لأختي عريس فوافق أبي وباع قطعة أرض بعد رفض أخوتي المشاركة في تجهيزها وتم بيع ثمار التين لمدة عام وتم تأجير الأرض الباقية وأصبحت لأول مرة بلا عمل أقوم فقط بجلب الطلبات من البلدة بالحمارة وباقي اليوم لي أتحرك فيه بدون أن يسالني أحد إلي أين ؟.

أختي الصغرى تحبني بشكل بالغ وتحاول دائما الكلام معي والتودد إلي ،ولكن أنا لم أكن أحبها بل كنت أكرهها ،ولا أريد أن أعلن ذلك فهو سري الكبير الذي يشعرني بالخزي ولا أريد أن يعرفه أحد حتي أمي ،حيث أن أختي كانت تقيم علاقة مع شاب وقد رأيتهم أكثر من مرة وأنا أتجول بالجزيرة، وقد صدمت وفكرت قليلاً لو ذهبت إليهم وفضحتهم سأنال علقة ساخنة من الشاب الذي يتمتع بصحة جيدة وشراسة تصل لحد الإجرام، ولو أخبرت والدتي سأورطها في مشكلة كبيرة لها وللبيت كله،

خاصة أن أبي ضعيف وبدأ يتوه لفترات طويلة، لذلك فكرت كثيرا ولم أصل لحل وكلما نسيت أجدها أمامي، هي طيبة جدا بريئة لدرجة أنها تصدق أي كلمة طيبة، في يوم دخلت البيت وجدتها ترد على أمي الكلمة بكلمتها، ورغم أنني متعود علي ذلك منهم ولكن استغللت الموضوع ونزلت ضرب فيها بيدي وبالشلوت، أخذت أضرب فيها حتي سقطت علي الأرض وأمي صوتت، فتركتها، الغريب أنها لم تغضب مني أو تقاطعني، وبعد ذلك بعام جاء لها عريس يعمل بناء، فوافق أبي وتم الزواج بعدها بأشهر قليلة وبعد الزواج أصبحت قريبا منها.

الصيف

1

نجحت في الصف الثالث الإعدادي، ودخلت الثانوي العام ،وخلا البيت إلا مني وأبي وأمي، وقد بعنا معظم الأراضي ولم يتبق إلا أرض الجزيرة وقد رفضت تأجيرها ،وقمت بزراعتها، في تلك الفترة أخي سلامة أرسل لي راديو ناشونال جميل أثناء إجازته كنت سعيدا به أيما سعادة، فقد كان تسليتي الوحيدة ، أحول المؤشر من أغنية لأغنية، أو أسمع القرآن كبار المقرئين علي محطة القرآن الكريم، وعندما أنتهي من مشاغل الحقلٍ، أسيرٍ في الجزيرة وسط الغاب النامي وسط النهر أصيد طيوراً، وبطاً، أو سمكا، أو أركب المركب وأفتش في التين عن عش يمام، أو أصابع تين منسية، أمسح الجبل يومياً لم أعد أخاف لا من عفاريت أو جن، أو ثعالب، كانت بي طاقة هائلة فأنا لا أدخن وأحافظ علي صحتي حيث العب رياضة حمل الأثقال وقد حفظتني الصلاة من العبث بعضوي وممارسة العادة السرية.

عندما أذهب للمدرسة تنتابني رغبة في بث حبي لفتاة من الفصل ولكن أنا شخص جبان رعديد لذلك اكتفيت بكتابة خطابات غرامية بخطي الجميل ثم تمزيقها وإلقائها في البحر، وفي يوم لمحت من بعيد أبنة جار لنا في الأرض كانت تسرح بالجاموسة علي حافة البحر حيث تنتشر مساحة كبيرة من الحشائش والغاب بعد انحسار مياه النهر، اختفيت في حقل الذرة وأخذت أسير حتي اقتربت منها كانت قريبة بحيث أراها

بوضوح تام، نمت علي بطني وأخذت أفكر ماذا أفعل؟ كنت أتتبعهاً ممنيا نفسي أن تقوم بكشف جزء من ملابسها لأري ثديها أو وركها.

كانت قبيحة جدا ووجها به دمامل وشعرها أكرت ورغم ذلك كنت أتهيب أن أقترب منها، كنت وسيما ومميزا ومتعلماً وجسدي قوي .وهي لم تنل أي قسط من التعليم ورغم ذلك كنت كلما فكرت مجرد تفكير أن أقترب منها وأكلمها أصاب برعشة وعرق غزيز خاصة أن الذرة كاتم ودرجة الحرارة فظيعة فعلاً، كانت تمسك الحبل وتتحرك مع حركة الجاموسة وكلما ابتعدت أحاذيها وأطل عليها من فوق لعل خطأ ما، تتعثر وتسقط ولكن لم يحدث شيء، بل سحبت الجاموسة ، وتركتها تنزل بركة مياه لتشرب فدخلت الجاموسة في البركة واستحلت المياه في ظل هجير شمس يوليو، تتقلب في المياه ثم جرجرتها من الحبل، وعادت مرة ثانية للصعود إلي الجزيرة حيث كان لهم عشة علي رأس الأرض وفوقها خص ليستريحوا فيه وكنت تعباً فعدت مرة ثانية للبيت أجر أذيال الخيبة

2

مات أبي فجأة، وامتلأ البيت بإخوتي وأبنائهم وتحول منزلنا المهجور إلي خلية نحل تعج بالضيوف الغرباء والمعارف.. وأدخل السرور في نفسي رغم أنني لا أشارك لا في الحديث ولا في استقبال الضيوف بل كل دوري ينحصر في الإنصات للحكايات المروية، والنقاشات المبهرة من أصدقاء أخوتي، أو حمل الأكل

من الداخل لحجرة الضيوف وكانت هذه فرصة جيدة للاقتراب من عالم النساء خاصة أن زوجة أخي المصرية كانت ترتدي فستاناً أسود محبوكاً فيظهر تفاصيل جسمها فأحب النظر إليها خاصة أن وجهها جميل أبيض حليبي ،وعندما تطبخ يتلون بحمرة فيصبح جمالها صاعقا، وهي ممتلئة ومؤخرتها رائعة حتي الكلوت كان ظاهرا بوضوح ؛فأثارتني بقوة لدرجة أنني في لحظة تخليت عن خوفي ورعبي ورعشتي ووقفت وراءها ملتصقاً بمؤخرتها لثقتي الشديدة أنها تريد ذلك وأن كل الملابس التي ترتديها وثديها المكتنز الذي يظهر بشكل سافر هو فقط لكي تدفعني دفعاً لمعاشرتها، ثم عندما شعرت بي قامت بهدوء ونظرت لي وقالت تصدق إني قليلة الأدب ووسخة، ابتسمت ففوجئت بكف صاعق علي وجهي أضاء عيني شررا ، لم أفعل شيئا انسحبت ودخلت غرفتي وظللت فيها حتي حان موعد العشاء فناداني ابن أخي ،فذهبت وجلست وأخذت أكل وعيني في الصحن حتي لا أراها، لم يحدث شيء بعد ذلك أخذت تكلمني بشكل عادي وكأن لم يحدث شيء وعندما انتهت أجازة أخي، زوجة أخي سلمت عليّ وهي مبتسمة، وأخذت تلح علي أن أزورهم في شقتهم في المطرية وأنا اقسمت لها بأنني سأفعل.

3

لم يعد أمامي سوي الانهماك في الصلاة وقراءة القرآن وحفظة علي يد الشيخ سالم ، وأصبحت أقضي وقتي بين إذاعة القرآن الكريم والمصحف الصغير الذي أضعه في جيبي باستمرار مما جعلني أحفظ أجزاء كثيرة من السور، وعندما نضج الذرة وحان تقطيعه، جهزت المنقرة لتقطيع الذرة في الغد, وعندما صليت الفجر خرجت نحو حقل الذرة كان الجو لطيفاً ،ورغم ذلك كان العرق ينبت علي جلدي، بدأت العمل بهمة وقوة حتي أشرقت الشمس، فعدت للبيت وجدت أمي قد جهزت الإفطار ؛فأفطرنا وشربت الشاي وعدت مرة ثانية للحقل، ظللت فترة أعمل حتي أخرجني من سرحاني الولد سعيد ابن جار وإن كانت أرضه بعيدة عن أرضنا ولكنهم ضمن مالكي الجزيرة، كان يتيماً وقد ترك لهم أبوهم قطعة صغيرة من الأرض ولديهم جاموسة شرك لا أعرف مع من؟

كنت عايز أنقي شوية حشيش للجاموسة

وماله يا سعيد

لم يكن لدينا بهائم لذلك كان متوفر في أرضنا الحشيش وورق وطراطيش عيدان الذرة ، وكان حقلنا مدار طمع للجيران الذين لديهم بهائم وليس لديهم أكل كافٍ لإشباعها وكنت أرفض تماماً أن ينزل أحد الغيط لدينا.

كان سعيد في عمر اثنى عشر عاما جسمه ممتلئ ووجه أسمر ولكن نظيف ومهندم وفي لحظة برق داخلي هاجس جعلني أخرج المصحف وأضعه علي كوم من عيدان الذرة وأتسلل خلف سعيد في الجزء الذي لم يتم تقطيعه، حتي اقتربت منه وضممته بسرعة وكتفت يده بحيث لا أجعله يفلت مني ثم وضعت يدي علي فمه، كنت متوترا أشد التوتر وقلبي يدق بعنف حتي تمنيت أن أتركه ثم أخذت أهمس في أذنه بإغراءات مادية كثيرة وعندما سكت رفعت يدي عنه فمه فأخذ يبكي ويترجاني أن أتركه ولكن لم أستطع كان كل جسدي يرتعش ولو أفلت منيّ ورآه أحد أو قال لأحد ستكون فضيحتي كبيرة ،وعار إلي الأبد لذلك كنت مصمما علي الاستمرار حتي الانتهاء ،وعندما فككت يدي قليلاً لرفع الجلابية وتنزيل اللباس انفلت منيّ لا أعرف كيف وأخذ يجري وأنا أجري وراءه

-خد ياله أنت رايح فين ياله, ياد تعالي أن بضحك معاك.

ولكن لتوتري ورعشتي لم أستطع اللحاق به وركبني الغم وأخذت أتصور سيناريوهات كلها كارثي لذلك تركت العمل ووضعت المصحف داخل جيبي مرة ثانية ونزلت نحو البحر وأخذت أسير حتي دخلت في الغاب النامي علي الساحل وأخذت أفج فيه وأتوغل في دغل شديد الكثافة وجلست منطويا علي ذاتي حتي تمر العاصفة .

الخريف

انتهيت من دراستي الجامعية وتخرجت فى كلية دار العلوم وتم تجنيدي في وحدة المشاة وتم اختياري للعمل بعد ذلك مراسلة لسيادة اللواء ماجد عطية وكان تعامل اللواء في غاية الرقي والتحضر لم يكن ليبخل علي بشيء ،ومعروف في الجيش أنه مجرد أن يكون لك كفيل يعني أن لك مذلة، لا يستطيع أحد أن يمسك بسوء، سواء كان رتبة صغيرة أو كبيرة ،والكل يعمل لك ألف حساب لذلك كان كل ما تحت رتبة اللواء يحاول بشتى الطرق كسب رضائي بالهدايا والكلام الطيب ولذلك كنت أجتهد كي أمرر لهم مطالبهم عندما يكون اللواء منشرح الصدر، كانت فترة مهمة لدرجة أن تلعثمي ورعشة ركبي توقفت وبدأت أعبر عن نفسي بصورة جيدة ،حتي أنا نفسي لم أصدق كل هذه اللباقة والذكاء في استخدام اللغة، كانت اللغة لدي مقموعة، راكدة في طبقة تحتية وكأنها في بئر عميق وأحتاج فقط دلوا لأنتشلها منها ،وكان التجنيد هو هذا الدلو ؛لذلك لم أكن في حاجة لأجازة لماذا أجازة؟ وكنت شديد الاستغراب من كراهية المجندين للجيش ،ومحاولتهم المتكررة للهروب أو التحايل مثل أبي يموت، أمي كسرت رجلها، أخي سيتزوج ..الخ حجج سخيفة وغير منطقية وكثير من هذه الحجج تقبل من القادة، المجندون مدللون بشكل "رخم".

على العسكري الحق أن ينضبط انضباطاً تامًا، وينفذ الأوامر بحذافيرها، كنت أحرض القائد لتطبيق الأوامر بشكل صارم لكن

محاولاتي تبوء بالفشل ،فالمعسكر يعج بالمخالفات والعساكر "بعاكيك" في كل شيء في الملابس، طابور الصباح ،الخدمة الليلة، لذلك كانت هذه الأشياء تصيبني بالمرارة بالفعل، وكنت أتخيل نفسي قبل النوم أن القائد العام عرف قدراتي وعرف انضباطي ويصدر أمرا بتعييني قائد الكتيبة، وأظل أرسم خطط لإدارة الكتيبة بشكل صارم عنيف لا يعرف الرحمة، الجيش مصنع الرجال ولكن أشكر الله أن أمانتي فتحت لي أبواب ما كانت أبدا لتفتح، فقد دخلت منزل القائد فقد كنت الوحيد الذي يسمح له القائد بدخول منزله ،وذهبت إلي بيتهم الريفي وأكلت مع الوالد عيشا وملحا، كان الباشا يمتلك أكثر من عشرة أفدنة من أجود الأراضي، وعندما انتهت خدمتي وكان من أسود أيام حياتي ،طلبني القائد وعرض علي مرتب كبير إضافة إلي أحسن أكل وأحسن شرب لي في مقابل أن أرعي الأب وأتابع الأرض أي "خولي" وعندما قلت أنني خريج دار علوم وأن فقاطعني وقال:أعلم ولكن بالله عليك كم سيدفعون لك أنا سأدفع لك مرتبا يساوي مرتب وكيل وزارة قلت: سأفكر وخرجت من الكتيبة وعدت للبيت.

2

سرت برودة منعشة في الجو ونما البرسيم فكسا الأرض بطبقة خضراء جميلة، لذلك يطيب لي الجلوس علي رأس الغيط في مكان مرتفع وجمع خشب أجمعه من جنائن البرتقال، أو أقحف التين الجاف وعمل دور شاي، وبجواري الراديو والمؤشر علي محطة أم كلثوم، أنا صاحب مزاج رغم أني متدين لكن ربنا غفور رحيم، ولولا الخطايا ما كانت الرحمة التي تسع كل شيء، كثير من الأحيان أجد أمي بجواري مع أني أحب أن أجلس وحدي، تعودت علي ذلك، فالوحدة تتيح لي أن أرسم سناريوهات مبهجة لحياتي، وهذا يريحني ويدخل السرور علي نفسي، ماذا أخذنا من الناس غير السخرية، وقطع سيرة الناس، كما أنهم يعرفون نقاط الضعف داخل ذاتك، هناك جانب آخر سيء ،كيف سأتزوج وأنا أعيش وحيدا، كيف أتعرف علي فتاة تناسبني، حتي أنني لم أقترب من فتاة رغم أنهن كنّ لطيفات، ويسهل التعرف عليهن، وعمل علاقة لا أقصد علاقة جنسية، ولكن علاقة زواج ، ولكن هل أتزوج فتاة جميلة من مصر سهلة ؛لتتعرف علي طوب الأرض ؛وتفضحني في البلد؟! كما أنهن يردن استقلالية، ومساواة، وأنا أريد فتاة صغيرة لم تتعلم لكي أربيها علي طباعي ،وأوجهها حيثما أريد ،ولو أخطأت خطأ بسيطا أسلخ جلدها ،حتي لا تكرر أو تتمادي في خطأ أكبر، هكذا الحياة، إن تساهلت في خطأ بسيط فلا تلم إلا نفسك لو تمادت في خطأ فاجر، عموما لدي فرصة ذهبية عندما يحين تعييني مدرسا، هذا سيتيح لي

أن ألتقي "فتاة خاما"، المهم أن أركز جيدا وأتصرف بذكاء حتي أنول رغبتي وحظي.

أطفأت النار وصليت العشاء، وعدت للبيت وجدت أمي تقمر عيش "بتاو" علي الراكية في المنقد، وضعت الطعام

أكلت بشهية مفتوحة كالعادة إلي أن قالت لي

-مش المفروض نعزم أخواتك البنات ؟

-إيه يا أمي هو إحنا كل يوم عازمنهم ، هو البيت مائدة الرحمن؟!

-يا واد دول إخواتك .

-لهم أزواج مسئولون منهم، وبعدين يا أمي إحنا ماشيين علي الكفاف ، عموما لما أتعين هاعزمهم مع أول مرتب أقبضه

وضعت يدها علي خدها وأنا تركت الطعام قرفاً ودخلت غرفتي وفتحت الراديو .

3

لم أعرف أنني وسيم إلا عندما حلقت لحيتي بعد مدة طويلة من تركها ،ومشطت شعري الأسود الكثيف مما جعلني أشبه الممثل محمود ياسين، خاصة مع شرائي لملابس جديدة، لزوم عملي كمدرس عربي بمدرسة عمر بن عبدالعزيز الإعدادية، بنطلون جينز وقميص كروهات وحقيبة جلدي سوداء.

في المدرسة استقبلت استقبالاً جيداً من الناظر والمدرسين والإداريين واستلمت جدولي، وفي أول يوم دخلت الفصل وبعد صباح الخير وبمجرد أن قلت أنا اسمي ونطقت الاسم وموجة من الضحك اجتاحت الفصل، ابتسمت وحاولت أن أبدا الدرس ولكن دون فائدة، عرفت بعد ذلك أنني نطقت اسمي خطأ وتهتهت. انفعلت عليهم وأخذت أسبهم.

-أنت يا حثالة، يا سلة مهملات، يا قذر يا قذر يا قذر .

زاد الضحك أكثر من الشياطين حتي مر أستاذ العلوم صفوت علام وفي يده خيزرانة، وضرب بها علي التختة ثم قال: أنت يا حيوان يا بن الحيوان منك له لهُ، لهُ، قوم ياله واختار ولدا عشوائيا: افتح إيدك وضربة ست عصي، ثم آخر، ثم آخر، التزم التلاميذ الصمت، ترمي الإبرة ترن، وأعجبتني طريقة السيطرة علي الفصل، بل انتشيت انتشاء حقيقياً، شرحت الدرس بهدوء وكلمات واضحة ثم عند انتهاء الحصة خرجت وذهبت لحجرة الناظر واستعرت خيزرانة من زميل ودخلت الحصة الثانية، وبيدي الخيزرانة ووجه صارم، وصوت حاد، لم يحدث شيء ،ثم سيطرت علي الفصل وشرحت الدرس ومر اليوم الدراسي في خير حال وفي الأيام التالية، صرت أكثر حنكه ودربة في السيطرة علي الفصل، وإجبارهم علي دروس خصوصية في البيت وتحطيم معنويات أي تلميذ لا يأخذ درس عندي سواء بالسخرية والضرب علي أتفه الأمور ،أو وضع امتحان صعب جدا،وأكون شرحت للتلاميذ الامتحان عدة مرات ،وأن أنبه علي الدرس بمهم، بالقلم الأحمر وفي اليوم التالي، أوزع الامتحان

علي التلاميذ وأحصل علي النتيجة المطلوبة، وبدأ ينمو كنزي الصغير وعندما مر علي في العمل ثلاث سنوات، بنيت بيتاً جديد في البلدة حتي أتزوج فيه ؛فلكي تتزوج من فتاة من عائلة كبيرة يجب عليك أن تبني بيتا فخماً، وقد شرعت في بنائه حتي اكتمل بناؤه علي خير حال، وأصبح تحفة تحيطه حديقة صغيرة، وبدأت للتخطيط للزواج من فتاة من عائلة كبيرة يكون لأولادي عزوة يستندون عليهم، ويفتخرون بهم، للأسف لا أعرف لي عائلة، لأننا نعيش في مكان بعيد عن سرة البلدة، إضافة لكون أبي لم يكن علي علاقة جيدة بأحد سواء من العائلة أو الغريب، قد يكون لأنه وحيد أبيه من الذكور وأخته الكبيرة التي تزوجت من جزار من المنصورية قد انقطعت عن زيارة البلدة حتي في وجود أمها وأبيها خاصة أنها أنجبت ثلاثة عشر طفلاً وأصبح زوجها من أكثر أهل المنصورية ثراء ،فكأنها تقول ولماذا أزور رجلاً عبوساً كريهاً وأنا الذي أعيش في عز وثراء لم يره لا هو ولا أبوه.

الشتاء

بالزواج من فتاة كانت تلميذة عندي، كانت في الصف الثاني الإعدادي، وكانت طيبة بشكل بالغ وعذبة ونقية نقاء الورد الأبيض، ولذلك كنت أعاملها بلطف وأعطيها درجات لا تستحقها، وكل فترة أميل عليها وأهمس لها برقة ،أن كانت تجد في المنهج شيئاً صعباً، الحق كنت أري في بريق عينيها إعجاب ورغبة للكلام معي، ولكن كان هناك شيء داخلها لا أعرفه وفي يوم وجدتها وحدها، في الفصل فاقتربت منها وهمست لها برغبتي في الزواج منها، نظرت لي وقد التهب وجهها، ثم مالت علي الحقيبة والتقطتها،وجرت خارج الفصل، ذعرت لرد فعلها، والذي زاد غمي ورعبي هو كونها كانت تبكي، خرجت وراءها وجدتها تجري في الملعب خارجة من المدرسة، انزعجت فعلاً وقلت إن بيتي خرب بسبب رعونتي، وتسرعي، وغادرت المدرسة دون إذن وعدت للبيت، أتقلب علي وجع وقلق، أنا ما صدقت إن حياتي أصبحت في وضع جيد/ في اليوم التالي ذهبت للمدرسة وأنا أرتب داخل ذهني ما أود قوله في مواجهة الناظر ،ووالد التلميذة، كنت منهكاً في طابور الصباح، بسبب كوني لم أنم ،وعاتبني الناظر لأني لم أحصل منه علي إذن فشرحت له ظروف قهرية مفبركة، ثم دخلت الفصل ،كتبت / مراجعة/ علي السبورة وجلست علي الكرسي، أسال بلا مبالاة متحاشياً النظر للفتاة، وفي لحظة نظرت إليها لم يكن وجهها ينبئ بشيء، لا غضب، لا احتقار، أو سعادة، كل لحظة أنظر

للخارج وكلما ما مر فراش توقعت أن هناك استدعاء، حتي مر نصف الدوام في المدرسة انتبهت علي صوت الفراش يطلبني للمثول أمام الناظر، كنت أسير وأنا غائب عن الوعي، حتي وصلت وجدت رجلا يجلس علي كرسي والناظر يبدو غاضباً، حانقاً، ثم قال لي: أنت إيه اللي جرى لك يا أستاذ، أنت اتجننت، أحنا في مدرسة تربوية أم في نادي اجتماعي، وأخذ يقرع في ويسخر مني، أنت شخص غير طبيعي مراهق، أحمق، أنا هكتب مذكرة للإدارة للتحقيق معاك، وأنا واقف كتلميذ خائب الرجا دون رد، وعندما انتهي قال: اتفضل يا أستاذ، دخلت الفصل وأنا أترنح فعلاً وعادت لعثمتي مرة ثانية أقوي من الأول بكثير، ولم أعد أعرف السيطرة علي التلاميذ أحسست ساعتها أنني قضيت أتعس أيام حياتي منذ أمس وأخذت قرارا بيني وبين نفسي أن أبتعد عن أي تلميذة مهما كانت جميلة أو لديها رغبة، وأخذت أبحث عن عروسة تناسبني وتوافق عليّ بسهولة ووجدت ضالتى، في ابنة خالي صلاح الذي اكتشفت أنها تخرجت من معهد تمريض ،وتعمل في مستشفى الحميات ،وفي المساء تعمل بمستشفى استثماري، عرفت بالصدفة، عندما تذكر خالي أمي فجأة ودعاها لتفطر في يوم من أيام رمضان ،والمعجزة أن يدعوني أنا أيضاً استغربت من الكرم الحاتمي لخالي "الجلدة"، كيف طاوعه قلبه، وهو الحريص، وعندما رأيت ابنة خالي وقد أصبحت عروساً صحيح أنها ليست جميلة وعكس خالي النحيف فهي بدينة لكن في النهاية أنثي وبيضاء، والبدانة لها سحرها وجمالها، حتي أنني ظللت بعد الإفطار جالساً أتكلم معها ومع خالي، ثم أصبحت أتردد عليهم كل فترة حتي فاتحت أمي

؛فغضبت عكس ما تصورت وقالت: أن خالك "جلدة" ولن يجهز ابنته تجهيزا جيدا، وأخذت تسمم بدني بالكلام، حتي أخرجت الموضوع من ذهني وتوقفت عن الذهاب لبيت خالي وفي يوم كان مخصصا لتطعيم التلاميذ، تعرفت علي ممرضة ضمن القافلة، كانت حديثة التخرج وقد عُينت في مستشفي القرية وتأمل بالانتقال من البلدة للمدينة ولم تجد واسطة للنقل فكان يبدو عليها التعاسة خاصة أن ملابسها توحي بحالها البسيط، أخذنا نتكلم حتي استرحت لها وقلت في بالي إن هذه الفتاة ستعتبرني لقطة ولن تتعبني في شيء، وستحافظ علي مالي، وانتابتني فورة حماسٍ وقد طلبت من صديق لي وقد كان جار لها ليفاتحها، وفعلاً فاتحها وأخذ موافقتها، وأرغمت أمي علي الموافقة وتم الفرح فعلاً ولم يعد في جيبي مليما، مما جعلني في كرب وتعاسة لا مثيل لها خاصة أننا في الأجازة الصيفة، والمرتب محدود ومرتبها أيضاً، والذي زاد غمي أنها حملت بسرعة غريبة وأنا الذي تصورت أن هذه العجفاء المريضة ستحتاج لسنوات لكي تحمل ولكن إرادة الله غالبة، كانت أمي ممرورة من الجهاز "العرة"، الذي جاءت به وكل يوم تسمم بدنها بالكلام المنقي والأمثال الشعبية، ولكنها لم تكن تبالي وكأن الكلام موجه لآخر غيرها، كانت لديها إرادة صلبة وطموح رهيب ودأب غير عادي حتي أنني كنت أحسدها, جاء العام الدراسي الجديد وقد كنا في قحط حقيقي، وكنت أنتظر بفارغ الصبر عودة الدراسة، وعندما بدأ الفصل الدراسي ودخلت الفصل أحبطت كانت الأرض تدور بي، وليس لدي رغبة بالمطلق في الشرح، ولكن حالي وضيق ذات اليد جعلني أثابر حتي أنهيت الحصة بالكاد رغم أن الفصل كان

يشغي بالرغي ولم يكن لدي رغبة أو قدرة علي إسكاتهم، داخلي حانق، ولدي الكلام الذي يسكتهم ولكن لم أعد قادرا علي فعل شيء، استسلمت لمصيري وتجاهلت هياج التلاميذ حتي انتهيت من الحصة وخرجت، دخلت فصلاً آخر وسار مثل الآخر، ومرت الأيام ولم يطلب تلميذ أخذ درس بل كانوا يأخذون دروس عند مدرس عربي زميل، قلت للناظرٍ قال: وأنا أعملك إيه؟ وفي يوم عندما لححتُ عليه أن يجد حلاً دخل معي الفصل وأخذ يطلب من التلاميذ أن من يريد أن يأخذ درسا، يأخذ من أساتذته أخذ يشكر فيّ وفي علمي وجهدي، ولكن دون جدوي، لم أستطع أن أضغط بالدرجات علي التلاميذ، خشية أن يطلب ولي أمر الطالب إعادة رصد الدرجات وتكون فضيحة ،وقد يتم رفدي وضياع مستقبلي المهني، لذلك رضيت بمرتبي إضافة لمرتب زوجتي وبعد تسديد الديون الشهرية ومصاريف البيت يتبقي القليل جداً ادخرته من أجل مصاريف الولادة، وعندما حانت الولادة ذهبت بها للمستشفي وتمت الولادة بصورة طبيعية وعدنا للبيت ومع مرور الأيام، اكتشفنا أن الولد معاق، كانت صدمة كبيرة لكلينا، وأخذنا نتردد علي المستشفيات وقد استنزفنا المال حتي توفي المولود الأول في نهاية الأمر واسترحنا، ثم حملت مرة ثانية وتابعت الكشف الدوري عادي وولدت ولدا أيضا واكتشفنا مع مرور الوقت أن الولد معاق، كنا في حالة يأس قاتمة، ضربة قاصمة، ولكن ارتضينا حكم ربنا وأخذنا نمارس عملنا في هدوء وهي عادت للعمل بالمستشفي وقد حلت جزءا كبيرة من المشكلة بسبب صراعها اليومي المحموم في العمل مع المرضي لكي تحصل منهم علي مقابل مادي، ولأنها كانت طموحة جدا

فكانت شعلة نشاط، وقد شاركت في الحملة الانتخابية للدكتور مدير المستشفى بكل قوة وتفانٍ، حتي تستفيد منه بعد ذلك في النقل لمستشفى في منطقة راقية.

أمي رغم لسانها المبرد لكنها كانت تقوم بدور هائل في مساعدتنا، فقد كانت تحب ابني حازم وتقوم برعايته أثناء غيابنا بالعمل، تحممه وتلبسه وتطعمه، كانت تقضي طول النهار معه حتي نسينا عاهته، أو نسيناه ، فقط نحتمله ساعات بسيطة أو أنا العب معه دقائق ثم أدخل غرفتي العب في الموبايل، زوجتي كانت تحضر طعام من المستشفى وهدايا كثير لأمي، جلابية، طرحة، تصنع لها بسبوسة، أمي تحب البسبوسة جدا، وتأكلها بشراسة، خاصة البسبوسة الغارقة في السمن البلدي والسكر، ولعبت الأيام وفاز مدير المستشفى في الانتخابات وحقق رغبة زوجتي بنقلها لمستشفى مميز بالقاهرة، وانتقلت فعلاً للعمل ولكن صحونا مرة علي وفاة أمي، فكانت كارثة الكوارث، فقد قدمت طلبا للانتقال للعمل في مدرسة في القاهرة أنا أيضاً وحصلنا علي الموافقة للعمل خاصة أن الولد في احتياج لعملية جراحة ستكلفنا كل مليم نكسبه لسنوات والآن مع غياب الأم دمرت كل مشاريعنا فيجب أن يتوقف واحد مننا ليرعي حازم طفلنا.

2

كنا، نترك البيت الموجود في البلدة ونذهب للجزيرة الخميس والجمعة والسبت هي تعود للمستشفي وأنا أظل في الجزيرة، أثناء النهار ثم أعود في المساء، الشتاء هذا العام شديد القسوة، والسحب قاتمة والغيوم تتحرك في هيئة كائنات متوحشة، غبية، والبحر خال من المياه والصيادين، جمعت قطع خشب وأشعلت نارا وجلست أمام البيت وأنا أضع علي كتفي عباءة أبي، لماذا هذه الدنيا قاسية علينا بهذا الشكل، ماذا فعلت في حياتي وأنا المتمسك بالفضائل وحافظ كتاب الله وأصلي الوقت بوقته، صحيح أن لدي داخلي رغبات دنيئة ولكن في النهاية لا تخرج للنور، تظل داخل صدري هي مجرد رغبات وخيالات، كيف أكون خائنا أو زانيا لمجرد أنني أحلم بابنة الجيران أو زوجة قريب لي، في النهاية، المهم التحقق، هل أنا سرقت، كذبت، تركت صلاة، أبدا قد أكون رعديدا، قد تكون مسالمتي لأنني فقط ضعيف ولو امتلكت قوة ما كنت استخدمتها في الشر, ولكن لم استخدمها هل يحاسبني الله علي شيء لم أفعله، ضقت ذرعا بالحياة ولو لم يحرم القرآن قتل النفس لأنهيت حياتى

جلست زوجتي جواري وهي تمد يديها لي بقطعة اللحم ،وقد أخذ حازم ينظر إلي وكأنه يعرف أنني أبوه، تحاشيت النظر إليه وناولتها كوب الشاي، كانت يدها ترتعش فقبضت علي الكوب حتي يسري الدفء في يديها، حاولت أن تتكلم ولكن لم تستطع فصمتت وأخذت تنظر لجذوة النار المتوهجه ,ثم

قالت:

أنا قلت هستريح بزواجي ولكن الغم والهم يطاردني يلتصق بي، أنا مش عارفة إيه فايدة مسكين زي ده في الحياة، فوق أنه يحطمنا، هو نفسه حياته ستكون قطعة من الجحيم، بني آدم معوق، ماذا تنتظر منه، سيكون دوره في الحياة عبره لغيره، هل ابننا المسكين ده يعيش من أجل الأخرين يتعظوا من حكمة ربنا، وأن السليم العقل والبنية عليه أن يحمد ربنا، أنا وصلت بي أني أمسح فيلا الدكتور عشان يحقق رغبتي، يعني اشتغلت شغاله ولما أتحققت رغبتين تعلق قطعة لحم في قدمي، كيف أجري من هنا لهنا وفي قدمي قطعت لحم متهدلة، ثم أخذت تبكي بكاءً مريراً.

3

شحبت الشمس حتي لم يبق منها أثر سوي لطخة دموية، السحب أصبحت أكثر دكنة، وغيوم تتكاثف وصقيع يقرب بيننا حتي التصقنا، القمح يتمايل، وشجر الجازورين يصدر صفيرا حادا، هناك طائر يحلق لا أعرف نوعه، يحلق وحيدا وصامتاً علي صفحة السماء، داخلي دغل من الحقد والمرارة والغم، ورغم ذلك لم أكن ألوم أحدا فهذا مصيري الذي كُتِب لي ولن أهرب منه، سأواجه الأمر بشجاعة حتي الرعب ،ولينفذ المكتوب وليذهب مصيري للجحيم، ترتعش جواره، لن أكون أخر ولا أول

من ارتكب الخطيئة، فالخطيئة جزءٌ من قدر الإنسان، لا مهرب، الجريمة غواية مغروسة في نسيج الجسد والهروب منها جريمة تضاف إلي جريمة الاستعلاء والتفاخر والمكايدة، سأحمل ذنبي علي كتفي وأكمل عمري الباقي كما أشاء ملوثاً مهزوماً، حتي لقاء الرب، سأقول له يارب أليس من حقي أن أقوم بفعل أرضي عنه مرة واحدة ، مرة واحدة دون خوف لا منك ولا من المجتمع ولا من السجن، أليس من حقي أن أمارس فعلاً دون نفاق ولا وتدليس أو تفاخرا، أليس من حقي أن أقوم بعمل إنساني يقي هذا الغلام من وحشة الحياة، وضياعنا في حياة لا ترحم أحداً.

خطا خطوة فتبعته يسيران وكأنهما في غيبوبة، نزل الجرف المؤدي للبحر، بكي الطفل صوته تردد في الفضاء كصرخة طائر مضروب بالرصاص، هدهدته الزوجة برقة ودموعها تسيل وقالت وأسنانها تصطك "نم يا صغيري نم يا صغيري، نم".

سارا علي شاطئ النهر ثم مد يده كرجل يؤدي طقوس مصالحات الثأر فمدت يدها تحت البطانية الملفوف بها الطفل فتلمست يديه وتشابكت في يديه وسارا يخوضان النهر حتي غطي الماء نصفهما, فسحبت يديها وهو سحب يديه وتركا الطفل يبتلعه التيار .

الخِيَّةُ

انْتَفَضَ انتفاضات قوية، وهو يري كائنًا هلاميًّا مصمتًا يقيد حركَاته، وقد تمكن منه، ثم تركه ودفعه أمامه، حيث الأحداث الأكثر دموية وعارًا، يسير ليرى، المكان مشتعل، سيارات محترقة يتصاعد منها الدخان، جثث متفحمة ملقاة في أوضاع مخيفة، جثة في وضع ابتهالي، جثة منزوعة الرأس، شاب ينام في وضع رحمي سلخ جلدة، يحجل وهو يدوس علي الزجاج المكسر، مخالب تطوق رقبته، وتحز في اللحم، مهدم يتحرك في مساحة ملغمة بالفخاخ، لم يجد حلا سوي أن يستسلم طالبًا الخلاص، فانتبه ليجد نفسه يلهث من الخوف ،من الأذى، ليجد نفسه بين أحضان زوجته, فبكى من هول مشاهدات يوم القيامة وقال:

رأيت على رأسي طبقا، به طعام شهي، فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ وأنا مشلولٌ.

أخذت ترقيه بيد حنون ولسان طيب بالدعاء، وهو يردد : جور الليالي حير الإنسان. آمنت لك يا دهر ورجعت خنتني. ولا كان حسابي إن الزمن خوان. بتخوني ليه يا دهر تكسرني في العضه. خليت دموعي مزقوا الأجفان"

السيدة الفاضلة تعرف أنه على الطريق القويم، فدفعت به إلى الشارع، لينال قدره المكتوب. قام من جوارها ينظر إلى عينها المتسعة كبحيرة، والنقطة السوداء تتلألأ، ووجهها المدور بدر، وانسحب حيث النهار ينبلج عن صبح بهي، وروح منهارة، يخرج إلى الشارع وهو مجلل بالعار والخزي، يدور في الشوارعِ منتظرا أن يُمَنَّ عليه بالعقاب، وعندما لم يجد، سحب حبلا كان يتمنطق به، وصعد شجرة توت مزدهرة جارا جسمه، وعلق الحبل، وأدخل رأسه في الخية وتأرجح.

ظفر إبهام يُشبه الخنجر

.... كان ينمو أمامي في الشارع، منذ عادت به أمه من القرية المجاورة التي تزوجت بها «حتة لحمة حمرا»

*طلقت، بعد أن فقأت عين سلفها الأحمق، الذي قال لها : "يا شرموطة فضحتينا"، ثم تنازل سلفها عن المحضر بسبب الخوف من شرها المتأصل في أعماقها، وجسارتها المخيفة، أخوها "سعيد أبو دقة" ترك لها غرفة على الشارع، منفصلة عن البيت، وحلف طلاق بالثلاثة من امرأته "ما تعملي مشكلة لأكون ممزعك بالمطوة، قامت على حيلها وقالت "الطلاق ده تحلفه علي مراتك"، وقالت «ورحمة أبويا أخصيك، وأخليك عبرة»

*سعيد أصبح زي الطور الهايج، وجري زي المجنون فوق الدور التاني، حيث الفردة والشوم والمطاوي، وعدة الجزارة التى ورثها عن المرحوم، ولم تتأتَ الفرصة لاستعمالها، ولكن ملحوقة، هكذا قال.

الزوجة ضربت صوت جاب الجيران وجيران الجيران، سرعان ما نزل وهو مسلح "محدش يقرب مني، اللي خايف على عمره يبعد عني"، صوته مرعب، وروح قاتل تزحزح الجموع،

فسقطت زوجته في حالة إغماء، فكانت فرصة لسيدة لتقول "الله يرحمها"، جسمه تهدل ورمى السلاح وحمل زوجته، وفي لحظة كانت السيارة تقف علي الباب

- الدكتور يا اسطي

دخلت هي غرفتها عادي وأخذت ترضع ابنها.

ينمو الطفل وكلما مر عليّ أجد لديه طاقة غضب وعنف رهيبة، وتضاعف داخله ركام من الغضب واليأس لعشرات الأسباب.

*وهو صغير، كانت به طيبة حد السذاجة، ويقال إنه حملها من جدته أم أبيه، التي كانت طيبة بإفراط، سيدة علي باب الله، وأبوه أيضا كان نسمة، ولم يعرف ناس البلدة كيف لم الشامي على المغربي؟ ولكنها مكاتيب وأقدار وقِسَم، حتي أن أمه كانت عندما تلمح هذه البلاهة ـ كما تسميها ـ تسلخ جلده، قرص وعض وباللكمات، وهو لا يعرف لماذا؟ يا "ابن الوسخة"، انزع الطيبة هذى من قلبك سيأكلون غداءك.

-تكوينه البدني ضخم، لذلك تعامل معه أهل البلدة علي قد جسمه، وليس سنه.

-يتصور أن جسده الضخم يجعله قادرا على هزيمة الخصم، وهذا كان خطأ بشعا، لماذا؟

-الذي يضرب العقل والقلب الجسور، فكم بنية نحيفة هزمت جسم ضخم

كان يملك جسد فيلٍ، وقلب عيل طيب غلبان

المصيبة الثانية

*صوته كان "جعورة" مستفزا فمجرد أن يرد علي احد يجعل الأخر يضربه بالقلم علي وجهه أو يضربه كم "شلوت". ويذهب إلي أمه مبربر ،ويجعر بالعياط فتترك أمه فرشة الخضار الذي اشتغلت عليها أمام البيت، تقوم هي الأخرى وتعجنه علقه لأنه لا يسمع الكلام ويتركها ويصيع في الشوارع، أو تنتفض وتذهب لبيت من ضربة وتشيل عليهم روبة.

*تركيب وجهه يجعله شريرا ، عينه جاحظة، وفمه واسع دائما مفتوح وجهه كله علامات، حواجبه كثيفة، مما يجعل أي انسان يرتبك ويخاف منه ويدافع عن نفسه تجاه هذا الخوف.

*أول سرقة قام بها "اتمسك" وتم حرقه بالسيجارة، ولم يجرؤ علي أن يقول لأمه.

*عندما دخل المدرسة، كان أي مدرس يدخل وأول ما عيناه تصطدم به تنشأ عداوة غريبة لدرجة أن مدرس الرياضيات ظل يضرب فيه حتي كسر له ذراعه ، وبعدها خرج من المدرسة ولم يعد لها مرة ثانية.

*أمه نفضت يدها منه وتركته في الشارع واهتمت بأكل عيشها، وهو يظل مقذوفا في الشارع، مع ضائعين مثله، يخطفون، يسرقون، يضربون.

*في أول سرقة كبيرة قام به مع الرفاق اختلفا بعد أن حاول واحد منهم أن يستحوذ علي القسم الأكبر ويترك لهم

الفتات، فانطفأ داخله الفرح فلأول مرة يقوم بسرقة كبيرة بهذا الحجم ولأول مرة في حياته يرتب رغبات وتدفق داخله أشواق وأحلام مما جعله نشوانا ولكن قسوة الكبيرة قذفت به إلي اليأس والغضب فغرس المطواة في بطنه عدة طعنات دخل علي إثرها المستشفى ولأن ربك رفيق بالضائعين فطاب جرح الكبير وخرج من المستشفى في 9/11/ 2005

*لا أحد يعلم قسوة السجن مثلي أنا فقد دخلت السجن لسبب تافه جدا لا يستحق ولكن الغباء المتأصل داخلي الذي يجعلني أهدر روحي في مواقف عبثية..

*البعض يتصور أن الموضوع سهل وأنك ما دمت رجلا تستطيع أن تحمي ذاتك جيدا وهذا غير صحيح ، أنتم تذكرون الشاب اللي ربطني في الكرسي في أول القصة، هذا كان الحامي لي من المساجين، كان متهم في قضية قتل وأنا داخل لقيته رجلا كبيرا قاعدا على فرشة نظيفة، وباقي المساجين، مكومين في نصف الزنزانة، كان عليه مهابة، اقتربت من مساحة فارغة،ولسه هقعد فوجدت بغلا يأمرني

-قوم ياد يا بن الوسخة من سمح لك تقعد؟ وضربني علي وجهي بالكف المرزبة، حتي أن الدنيا أظلمت فعلاً لدقائق

*وقفت جوار الحائط أرتعش وأن أشعر بالخزي والخزلان، حتي قال لي الرجل

-كفاية كده تعالي.

-سرت واقتربت منه ثم توقفت

-تعالي اقعد

ظللت واقفاً خائفا من أن يكون فخا لي ولكنه نظر إلي وشخط أقعد فجلست

-انت ابن مين

- .....

-طيب أنا بقي يا سيدي عمك عبد الفضيل البرقاشي، تعرفه.

-أيوه إنت تركت البلد من يجي عشر سنين وشكلك اتغير خالص

-أيوه كنت بالبس بنطلون وقميص ودلوقت لابس جلابية فلاحي، الحياة كده لازم نتوقع منها أي حاجة، موت، مرض، ضرب، قتل، فرح، حزن الخ، إنت زعلان ليه فك معلش، وهكذا عشت في حمايته حتي أخرجني المحامي بعد التصالح يوم الاحد

*ماذا يمكن أن تفعل وسط مسجلين، قتلة، لصوص، قوادين، شواذ أشد إجرام تتصوره، نعم سيتم تشويهك والتعليم عليك بدون أن تستطيع فعل شيء، ليس أمامك إلا الانتحار، حتي دي صعبة، أنا شوفت عنف في السجن خرجت منه حسن السير والسلوك، زي الألف

*طبعا أنتم عايزين تعرفوا سبب دخولي السجن، الموضوع

بسيط أنا اشتريت عجلة بالتقسيط ووقعت علي كمبيالات وكل شهر أدفع عادي وفي يوم تكاسلت في الدفع فأرسل لي صاحب محل العجل علي القسط الشهري، أنا كبرت في دماغي وطردت ابنه ازاي ابن العرص ده يبعت لي يطالبني في مبلغ تافه كده وأقسمت يمين ما انا دافع ويوريني هيعمل إيه ، روحي يا أيام عودي يا أيام لقيت البوليس مقتحم علي البيت ويا حيط دارِيني.

*خرج من السجن نهاية 2008 ولم تتوفر لي معلومات إلا واقعة حكاها لي قريب له من جهة الأم

« قال: عندما دخل السجن، تحرش به بعض المساجين فدخل معهم في خناقة وكان سلاحه أظافره الطويلة خاصة ظفره الإبهام الذي كان يشبه الخنجر، فشرطهم وعلم علي وجوههم وعندما تم التحقيق معه اتهمه المسجلون بأنه يحمل موسي في فمه تم تفتيشه وتفتيش الزنزانة فلم يجدوا شيئاً، لذلك خرج منها وظل في طوال فترة احتجازه في القسم محميا، إلى أن تم ترحيله إلي سجن القطا دون وسطة القريب من البلدة واختفت أخباره تماماً».

*خرج أكثر نضجاً وقوة ومهابة ولكن عندما قابلته أول مرة مع أني كنت خائف منه إلا أنني عندما نظرت إلي عينيه قلت أنه مشبع باليأس ثم دعوت الله ألا أصطدم به في شغل أو علي مقهي.

*فتح محل مساحته محدودة أقرب لكشك وكان يبيع فيه صواني بسبوسة وجلاش وكنافة وبلح الشام وحصل نجاحاً غير متوقع

*كان روتين حياته معروف، المحل، البيت، أصدقاء محدودون يثق فيهم، يجتمعون في أماكن متفق عليه ويشربون البانجو والحشيش.

*بعد النجاح الذي حققه بدأت الغيرة من الجيران. وبدأوا يضايقونه

* مثلا الجيران يغسلون الأرضيات بالخرطوم وتصب المياه أمام المحل ولا يعرف ماذا يفعل، يظل صامت وهو يري المياه تتكوم أمام المحل والغل والغضب يمور داخله,

*يبتسم ابتسامة صفراء وهو يشكو للحاج من المياه فيقول بكل برود وإنت برأيك أشرب المياه ولا أبطل أنظف بيتي

*تم رمي زبالة فحصها ،فعرف إنها من الجار، فاشتكي مرة ثانية فخرجت زوجته وابنته وغسلوه شتائم

*في 15 /9/2009/ كسر رجل الحاج وفلق دماغ ابن عمه وهرب

*تم حرق المحل ودلق الحلويات في الشارع وتطبيق الصواني، وبحثوا عنه في كل مكان.

*قام بتسليم نفسه في 31/6 لنقطة وردان وتم ترحيله لقسم إمبابة، وحكم عليه بالسجن 6 أشهر مع النفاذ

*خرج من السجن في بداية 2010 محطما ،

*عرضت عليه أمه أن يعمل معها في مقابل مصروف يومي محدد وقد وافق.

*يظل جالساً بجوار السبوبة يعفر سجائر شاردا لا يكلم أحد أو أحد يكلمه.

*يري ويسمع تفّور الدم في عروقه، يقابلها ببصقة وزيادة في تدخين السجائر وبدأ يتخانق معها علي أسباب غير الأسباب وموضوعات غير الموضوعات ويسب «سنسفيل أبوها» وفي النهاية لم يجد فائدة، فهي في النهاية لن يستطيع ،فرأسها أشد صلابة من صخرة، لذلك التزم الصمت وهو يضمر شرا تجاه متحينا الفرصة ليقطع رأس الأفعى بضربة واحدة، ضربة مميتة

*البعض سيتصور أن مأساته وليدة لمجتمع قاسي وأم فقرية وهذا قد يكون صحيحا وقد يكون خطأ في النهاية هناك أفراد وهم الفئة الغالبة في هذه الحياة يتم قذفها في الجحيم الأرضي , أنها مثل سائق يرجع بسيارة فيصطدم بسيارة، يندفع للأمام فيضرب رجلا ويرميه أرضاً، ينحرف يسارا فيصطدم بحائط ينحرف يميناً يسقط في بلاعة أنه سائق وهذه مهنته ولكنه مرسوم

*في يوم كنت جالسا ومروق تمام وبشرب شيشة، لقيته محود عليً ودون أن يسلم أقترب مني وقال: ان عايز اموت، قالها بحرقة وانا فهمتها خطأ بأنه يريد أن يموتني، قلت مفزوع، أنا عملت لك إيه يا جدع أنت، أنت اتجننت، شاور بيديه علامة يأس وقال « أنا بقولك أنا عايز أموت

صمت لحظة وقلت: ليه إنت لسه شاب والحياة قدامك ودمعت عيني.

قرفص أمامي وقال:

حلمت أني منتظر جنازة ولما حاذاني الكفن، توقفت المسيرة ودون أن أقول أجرني سحبني شاب أسود سمين وقال لى «شيل». كان الكفن الأمامي بيد واحدة عكس كل الأكفان الذي أعرفها، ذهلت وحملت الكفن وكان ثقيلا وكأنه معبأ بالحديد وليس جسد إنسان، تعبت بعد عدة خطوات وأخذت أبحث عن أحد ليجيرني ويحمل عني الكفن ولكن لم أجد، صعبت علي نفسي لذلك بكيت، ثم انهرت وبركت علي الأرض، فتجاوزني المشيعون ووجدت نفسي وحيدا في الشارع ودرجة الحرارة عالية فشعرت بالذنب أنني لم أصبر علي حمل المتوفي وأن المؤكد أن نظرة الناس لي ستتغير وإنني لست الرجل الذي يعرفونه.

*في يوم كانت أمه جالسة مع جارة لهم وكأنت السيدة تحكي واقعة حدثت لها

*أنا كنت رائحة يا سعاد يا ختي عند أبويا وأنا لازم وأنا رائحة أحمي ابني حمادة وألبسه بدلة الظابط ومريت عليه وقلت، اتسرق منه عشان ما يشوفنيش ولكن ابن الحرام شافني، قلت أزيك يا خال عامل إيه، قال كنت أسألي علي خالك وسلم عليه ومسك إيدي مش عايز يسبها لما أيدي عرقت، قلت سلم علي جدك يا حمادة، ترك حمادة وبص له وقال الواد حلو مش عارف طالع لمين ؟ وانت شبه أم قويق وأبوه شبه الجيص وأخذ يضحك هيء هيء هيء، سيبته يا أختي ويدوب وصلت بيت أبويا والواد حمادة يا اختأأأي يتمرمغ في الأرض وكأنه شارب سم، ركبت في عربية لوردان ودخلت ع الدكتور عبد الستار: إنجدني

يا دكتور، الواد هيروح منيٌ، أخذ مني الواد وأخذ يقلب فيه، وقال لى مفهوش حاجة يا ست إنتى ، وكتب دواء، رحت جبته وأداه حقنة، الواد سكت شفت العين، العين فلقت الحجر.

*لم تكن تسمعها كانت عينيها مسلطة علي ابنها الذي رأت عينيه تطق شررا، ثم انسحب، ودخل الحجرة التى ينامان فيها وبعد فترة خرج في سرعة البرق ورمي عليها «جازا» وأشعل فيها النار وهي تصرفت بثبات وخلعت الجلابية بسرعة فظهر عريها للعيان لأنها لم تكن ترتدي شيئا سوي الجلابية علي اللحم , ورمتها بعيدا عنها وجرت جارتها وأحضرت كوز ماء وقالت: اتجن خلاص ملهوش إلا المستشفى، دا لو ابن حرام ما يعملش كده في أمه ، دخلت أمه وارتدت جلابية جديدة وخرجت وجدت جمع من أهل البلد فبصقت عليهم وجلست بجوار الخضار صامتة.

*ترك البيت وعمل حارساً لأرض المعلم عبدالصمد درويش وكانت هذه الفترة الأكثر ازدهارا في حياته، يأكل جيدا، الشراب متوفر، يعني في النهاية الحياة لعبت معه والقرش جري في يده، يسهر الليالي مع أصوات المطربين، وفي يوم سكر طينة فكان يسحب زجاجات البيرة من الصندوق ويرميها ثم يصطادها بالطبنجة، ترك الحديقة في فمه سيجارة وفي يده زجاجة البيرة وصوت المزيكا يتبعه وهو يتطوح ويغني لبحر ابو جريشة.

يا عيني عالغريب

يا عيني عالغريب

غريب في الدنيا يابا .. ويا عيني عالغرب

بتوه في دني غريبا .. دنيا ملهاش حبيب

ويا عيني عالغريب

ويا عيني عالغريب

ويا عيني عالغريب.

فاصطدمت به سيارة هشمت رأسه وداست عليه فتوفي علي إثرها في الحال.

الحبل

لم أكن لأتصور ولا فى الأحلام أن يصل القائد بالهوان والضعف لدرجة استجابته للضغوطات الدولية والافراج عن الخونة، وكأن عمرنا الذي دفعناه لحماية والزود عن البلد ضد الأعداء والحقدة والمتآمرون يضيع هباء، هل هذا معقول بعد هذا الصراع الرهيب الذي خاضته الامة ضد المتمردين الأوغاد، يأتي فى النهاية خاضعا، ويقدم مشروع للبرلمان للتصالح والتسامح، وفتح صفحة جديدة، بين الجاني والمجنى عليه، هل اصبحنا جناه الآن بعد أن خضنا فى الوحل، أنا طبعا لن أملي على القائد قراراته ولو في يدي القرار لم أكن لأترك خائن يتنفس هواء هذا البلد العظيم، كنت سأخنقهم بالغاز، أو أضربهم بالطائرات، لا حل أخر لكي نطهر المكان، ولكن أنه القائد فليتحمل نتائج قراراته الكارثية، ولكن إذا كانت هذه ارادة الحاكم وهذا شأنه ما لي أنا بالموضوع، لا أعرف لماذا يورطني بهذا الشأن وكأنني ارتكبت جرم، أنا أديت واجبي بأمانة وإخلاص، ماذا كنت افعل والتتار تهجم علينا وعلي مؤسسات الدولة، هذه بلدي ويجب أن أدافع عنها هؤلاء خوارج عقابهم عند الله (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في

الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض» اليس الخروج عن الحاكم فسادا فى الأرض، اليس هؤلاء هم أيدي القوي العالمية الرخيصة لهدم مصر، وينطبق عليهم بالحرف المفسدون فى الأرض، ورغم ذلك أشعر أنهم يريدون عقابي، وإلا لماذا يتم اختياري لاقف أمام الكاميرا لأستعيد الفترة الذي خدمت فيها من أجل/مصر البهية/ الغندورة/ لا لا هناك خطأ بشع أرتكب وستدفع مصر ثمن ذلك، أنا طبعا ملتزم أشد الالتزام ورغم أنني خرجت من الخدمة ولكن في أي وقت يناديني الوطن ألبي فورا بدون نقاش، طلبوني، لأنني الأكثر انجازا وبدل من ان أكرم كرمز وطنى يتم خذلاني وعقابي علناً، لو كان علىّ لايهم، أنا فداء البلد لو قالوا لي ارم نفسك فى الجحيم لن أتأخر ولكن الموضوع هو البلد فى شخصي، عايزين نهدم الركن ده، كان على أن أشنق نفسي قبل أن يأتي صغار ويخيروننا بين الاعتذار والركوع/ يشجعوننا بأن الموضوع مجرد فقرة تمثيلية والمطلوب طبقا للسيناريو المكتوب والذي ظللت أحفظ فيه لمدة طويلة حتى حفظته صم أن أعترف بذنوبي وأصف كيف كنت أتخلص من المعارضين للحكم، وتم اختياري لأنني من اكثر الضابط شهره في الصحافة الغربية وقد سموني الخناق القاتل لأني اتخلص من الواغش بحبل، خسارة فيهم طلقة رصاص، ولم يكن لدي اعتراض اطلاقا في سرد كل ماجري بشفافية فانا اجد متعة فى الحديث عن التخلص من النفايات الذي يحزنني بالفعل هو أنني فى نهاية الفيلم سأبكي، وسأقول أنني لا أنام بسبب الكوابيس التي تهجم علي بالليل، وأن وجوه المواطنين اراها في لحظات صعود الروح،

الوجه البشع بالكلية، المرعوب والعيون الجاحظة وأنا الف الحبل واضغط أضغط، لم يحدث ذلك بالمطلق فانا أعيش حياتي في قمة السعادة مع أسرتي فى فيلا رائعة وحديقة من 500 فدان به كل أنواع الفواكه وتظل علي النيل فى مشهد عبقري، انا رجل محافظ، احفظ القرآن واتابع الحديقة والعمال وعندما اصلي العشاء أستغرق في النوم بدون أي منغصات، واصحو لصلاة الفجر في الجامع الذي بنيته على مساحة كبيرة، من الأرض وفرشته بأفخر السجاد وطليته بأغلى الدهانات، وكانت فرحة الفلاحين كبيرة، الأن مطلوب مني أن أبكي مثل الحريم واشتكي من الكوابيس التي تهاجمني، الله يخرب بيتكم السينما أكلت بوظت دماغكم الوسخ، يعني أيه هذا الاعتراف وهذا البكاء مجرد تمثيلية على العوام الذي سيعتبرون أنه تم الانتقام مني ويحدث لديهم راحة وينسون الأمر، لا أريدهم أن ينسوا، أريد أن يظل الحبل كمشنقة تتأرجح أمام أعينهم لكي يعرفون أن مجرد أن ترفع رأسك وتقول لا معناها أن مصيرك محدد سلفا المشنقة، يله اعتبرها مهمة وطنية والسلام، ذهب للأستوديو وسجلت الشخصية، ومخرج ومعد الفلم كانوا فيه غاية السعادة من الأداء الذي قمت به، تركت الاستديو وعدت للبيت وأنا أشعر بالقلق والغضب مما يحدث كيف يتم إهانة ضابط بهذا الشكل الكرية، هذا عيب والله، لم يكن الأمر قاصر علي كان هناك سوق في الاستوديو ،كل وأحد فيهم اخذ يحكي عن ما تسمي جرائم هناك من حكي عن دوره في قتل الأطفال أمام والديهما ومن اغتصب كثير من الفتيات، ومنهم من حكي عن ليالي المرح الذي كان يحضر سجناء ويتم الرهان على اصطياد عيون المعتقلين،

بالسكين، أو من الأكثر في اخفاء مواطنين قسريا، من اذل وقتل من الاشرس الخ

عندما عاد للبيت كانت الساعة الثالثة عصر، و يشعر بجوع قاتل ورغم ذلك لم يجد الرغبة فى تناول أي طعام، شرب القهوة وظل يدخن وهو جالس في الفراند ساهما لا يفكر في موضوع بعينه ولكن حشدا من الموضوعات والذكريات، والاحلام، التي تتخبط داخل رأسه، مما يجعله حانقا/ حتى قرر أخيرا أن يأخذ دش ويصلي العصر قبل الغروب، ورغم ذلك ظل كما هو محبط، ويشعر بانهم خانوه وأنه في النهاية مجرد واحد مغفل أحمق يتم التلاعب به ويااليت هذا في مصلحة الأمة ولكن أول مسمار في نعشها، يشعر بالمسئولية وفكر في كتابة رؤيته وأرسالها للزعيم لكي يصحح المسار، لا يمكن أن يكون هذه قناعاته أكيد تم التلاعب برأسه من المحيطين به، ظل هكذا يدور في الفيلا لا يعرف النوم طريقة إليه حتى سقط من الجهد والأعياء ونام، وقام مفزوعا على كابوس بشع يهاجمه، وجوه منتفخة من شد الحبل حول الرقبة، وعيون مفقوعه ينز منها دماء، وأرجل مقطعة، وجمجمة مهشمة، ورقبة مقطوعة، وبطون مفجورة، واحشاء متناثرة في الفيلا، أحس بالزعر ونزل يجري حتى خرج من الفيلا وجلس يبكي ويرتعش، ظل هكذا حتى أذن لصلاة الفجر، ذهب للجامع وفتح كتاب الله وأخذ يقرأ فيه بتبتل وخشوع حتى قامت الصلاة، صلي الفجر وظل فى الجامع يقرأ حتى أصبحت الساعة الثامنة صباحا، عاد مرة ثانية وهو يعرف أنه فى محنة حقيقية وعليه اجتيازها، أكل بعض الطعام وطلب

من زوجته أن ينام على حجرها، أخذت تضحك وهى مستغربة من طلبة العجيب، وحنانة الذي يتدفق منه، بمجرد ما انطبق الجفن هجمت عليه الكوابيس بضراوة فقام مفزوعا ويتلفت حوله فى ذهول وغضب، لم يجد أحد، الكارثة أن الكوابيس والجثث المشوهة، لا تهجمه في الأمكن الذي مارس فيها عمله ولكنها احتلت الفيلا، سيطروا علي كل شبر فيها، كل خطوة هناك جثة، هناك قطع بشرية تتجول فى المكان حتى حولته لسلخانه بشرية، كيف يمكن العيش فى هذا المكان، ومن يغيثني، أخذ يفكر فى أيجاد حل، ذهب إلي معالج بالقرآن، ذهب إلي طبيب نفسي، دار على العرافين والسحرة ولم يستطع احد منهم أخرج الجثث من رأسه، ترك لحيته وأهمل حالة لا يستحم لا ياكل يظل يدور فى الحديقة وعندما ينهك يسقط على الأرض فتهجم عليه الجيش من كل صوب فيقوم مفزوعا، حتى أصبح غير قادرا على التعايش مع حالته وفقد وزنه واصبح جلد على عظم، وفى يوم قرر ان يستريح، إلي الأبد صعد للدولاب وجاء بالحبل المشرب بدم ضحاياه والذي احتفظ به كتذكار وسار وظل يلف فى الحديقة ويستنشق عبير الزهور وعندما انتهي، تقدم من شجرة توت وصعد على سلم خشبي وربطها في فرع متين ولوي لتكوين حلقة ،ومن ثم ربط نهاية الحبل ببداية الحلقة على شكل لفائف وادخلها من رأسه وترك نفسه يتأرجح في الهاوية

الراقص

العجوز الذي وصل للثمانين وبه بقايا عافية، لم يجد من يؤانس وحدته في هذا البيت الكبير فخرج ، وجلس علي المصطبة ينظر للمارة، لعله يجد أحدا يعرفه، يتحدث معه، يذكره بالمجد الذى راح، ولكن المارة يتجاهلونه، حتي سمع صوت طبلٍ يأتي من قريب مد بوزه ليجد فرحا يقترب، قام ينتظر الجموع ، كان صوت الموسيقي يبث فيه الحياة والفرح، حتي حازته فأشار للجموع فتوقفت فأخرج من جيبه ورقة بعشرة جنيهات وناولها للفرقة الموسيقية، وقال بصوت رجولي وقوي

- رقصني يا جدع .

وأخذ يتطوح نشوانا، فتكونت حلقة حلوة من أهل العريس والعروس والشباب يصفقون ويقفزون في نشوة تشجيعا للعجوز الماكر الذي استحوذ على اهتمام المدعوين، تذكر الشومة صاحبته في الأفراح.

- ألا توجد عصا في هذا الجمع، مفيش فيكو لعيب

لم يرد أحد، تلفت وجد عود حطب جافاً، اخترق الجموع

وتناوله وأخذ يتطوح سكرانا والمدعوون مندهشين من هذا العجوز الأدرد الساحر.

استلام الجثة

قامت بأداء صلاة الفجر وارتدت النقاب الذي استعارته من جارتها السيدة روحية عبدالخالق سعيد، وانتظرت حتي سمعت صوت السيارة السوزوكي التي ستحملهم لاستلام جثة أخيها معوض عبدالباسط المحكوم عليه من القضاء العسكري بالإعدام شنقاً في القضية 113 /2017 وتم تحديد التنفيذ اليوم الساعة السادسة صباحا.

-نزلت درجات السلم بحذر لأن النقاب كان يجرجر علي الأرض ويلتف علي رجليها فخشت السقوط

-دخلت السيارة فتذكرت التليفون المحمول

-دخلت الباص وهي تلهث بجوار زوجة أخيها شفيق وأغلقت الباب بقوة

-بالراحة يا ست توحيدة.

-كان شفيق صامتاً ومتجهما وتجاهل أخته، الذي فجأة اندفعت في البكاء بمرارة

-ورحمة أبوك يا شفيق.

ثم زادت في البكاء حد العويل، فتلفت ناحية أخته التي تركب في الكرسي الوسطاني وكز علي أسنانه . وبعدين يا توحيدة، أنا روحي في حلقي ومش ناقص، بصي يا بنت الحلال مش قادرة ارجعي أحسن لك وله ولي، المقدر خلاص ساعات وينفذ

- خلاص يا خويا،

-رفعت النقاب فبدأ وجهها مزنهرا من البكاء، مسحت وجهها بيديها وأخذت تقرأ في كتاب الله. (9) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (14

-شفته يا شفيق في الحلم إمبارح بيجري في أرض واسعة جدا مزروعة برسيم وفي إيده كرة جديدة، إنت عارف كان بيحب لعب الكرة قد إيه، والشمس كانت مشرقة وكل حاجة حلوة، أخوك بريء يا شفيق، صدق أختك، أخوك عصبي لكن ابن ورق ميعرفش يقتل، أنا عارفة إنك مصدق بس صدق أختك يا خويا

-أشق هدومي يا توحيدة أنا في إيدي إيه ؟ ارحمي أخوكي يا أختي أنا جسمي طايب، ثم أخذ ينهن وينتفض

أخذت تطبطب عليه وتقبل رأسه معلش أنا غلطانة وأخذت تضرب بيدها علي فمها.

-السائق وقف أمام المعتقل ودخل شفيق ليستكمل الإجراءات ويستلم أخاه.

-خرج من المعتقل ينتظر خروج السيارة بالجثة.

-خرجت السيارة، فهرعت إليه وتدور حولها تحاول أن تجد منفذا لتري أخاها،

-أصابتها طوبة فزعرت ،وأخذت تجري، حتي كادت تسقط، نظرت وجدت تجمع لا تعرف من أين انبثق؟، جري إليها شفيق، تعالي:

أخذ التجمع يقذفهم بالطوب وينعتهم بالقتلة، كانت وجوها غاضبة وعفية تبصق عليهم

-جري شفيق بسرعة وأدخل أخته السيارة وقام بغلق زجاج السيارة، فاقتربوا منهم، وأخذوا يضربون بأكفهم زجاج السيارة

-السائق اضطرب وأخذ يردد يا ساتر يارب.

-زوجة شفيق ذعرت وأخذت تبكي وهي تغطي وجهها بيديها.

-سائق السيارة التي تحمل الجثة انطلق بقوة

تبعه السائق وهو يشعر بالجوع وقد خجل أن يذهب لشراء ساندويتش من عربة الفول أمام السجن.

أمثولة العرافة العمياء مع الحاكم الظالم

كان يا مكان في سالف العصر والأوان، ملك طيب يحكم بالعدل بين شعبه، صارم مع السراق والمعتدين، رؤف بالضعفاء والمظلومين، صارم مع الأعداء، متضامن مع الأصدقاء، لذلك ازدهرت البلاد واستقرت الأحوال وعاشت البلاد في أمان و بحبوحة من العيش، حتي أوغر صدر الملوك المجاورة؛ فاتحدوا فيما بينهم وكونوا جيشا جرارا به كم هائل من العتاد ومقاتلين أبطال شجعان وقواد فرسان وخطط محكمة لقنص البلاد والاستمتاع بخيرها وتحويل أبنائها لعبيد، وعندما علم الحاكم دقت الطبول في البلاد واستعد بجيش جرار لصد الهجوم المغولي المجرم، وفي منتصف الطريق، أوقف تحرك الجيوش ودقت الخيام، وجمع السلطان العادل، قادة الجيش العظام، وتشاورا، بعد أن جاءت له الجواسيس ، بعدد الجيوش والعتاد والأسلحة، وعرف إنه لا طاقة له، ولذلك أصبح حائرا، فلو عاد وتحصن دفاعاً عن المدينة ، فلن يستطيع الاستمرار في الدفاع لمدة طويلة ولو ذهب بجيش، فقد يهزم ويشتت شمله، وحتي الصباح لم يكن قد نام وبلغ الضعف به مبلغاً، وكلما غفا صحي علي لعلعة السيوف، وأصوات الأبطال الصرعى فيقوم مفزوعاً

حتي دخل عليه الحراس وبلغ برغبة فتاة عمياء في مقابلة السلطان وهي ترعي الأغنام مع والدها الرجل العجوز، فرق لحالها، فدعاها لمجلسه وعندما أحضرت في مجلس الملك نطقت :منصور بإذن الله، ثم انصرفت حاولوا الحجاب أن يمنعوها، ولكن الملك أشار لهم كي يتركوها لشأنها، وقد حدث تفاؤل عظيم عندما سرت نبوءة العرافة الصغيرة، وتقدم الجند في حربٍ ضروس استخدمت فيها الحيل والتضحيات المؤثرة، حتي غرق المكانُ بالدماء، وصمد جيش الملك رغم ضراوة القتال حتي انتصر في هذه المعركة الفريدة، التي نسجت حولها الأساطير وتكلم عنها الشرق والغرب بسبب الخطط المستخدمة وشجاعة الفرسان الصناديد، وعندما عاد الملك منتصرا وعلي الرايات رؤوس الاعداء، أقيمت الأفراح ووزعت الهبات والعطايا علي الرعية، ولم ينسَ الملك الهمام الفتاة الضريرة وبشاراتها السعيدة فطلب من حاجب الملك أن يتم إحضار الفتاة ليخلع عليها الخلع ويهديها ما تشاء، وعندما دخلت الفتاة القصر، وعرفت أنها في حضرت الملك قالت: منصور بإذن الله، قال: اطلبي وعلينا التنفيذ، فتركت المكان وعادت حاول الحراس منعها ولكن الملك رفع يده وأشار لهم بالسماح لها وعاشت الفتاة كما كانت ترعي الأغنام مع أبيها وأخواتها وكلما خرج الملك في حرب، أو أراد أن يأخذ قرارا يحضرها فيسمع منها: منصور بإذن الله، وكان الملك يقضي جل وقته في متابعة أحوال الرعية، حتي أنه كان غافلاً تماما عن أسرته، فكان يترك الأولاد في يد الغلمان والمعلمين والمرشدين ، وفي يوم أراد الملك أن يترك الحكم خاصةً أنه في مرض شديد وأراد أن يولي ابنه الصغير

من زوجته الأخيرة أمور الملك ،وعندما وقفت بين يده وشرح حاله، لم ترد وتركت المكان، احتار الملك واستشار المستشارين، فخاف المستشارون من ذكر الابن بسوء خاصة أن سيرته بطالة، ولا يصلح للملك، تردد الحاكم كثيرا ولكن كان يضعف أمام زوجته ضعفا شديدا، لذلك وافق بالنهاية ولم يمر وقت طويل حتي وفاة الملك وتم تنصيب الابن الصغير حكما البلاد ،وفي فترة قصيرة، استغرق في الشراب وترك أحوال الرعية لأصدقاء السوء، فعين منهم الوزراء، وحكام الولايات وأقصي الكفاءات وقرب الأوغاد من المنافقين والمرتشين، وأخذ يقضي الوقت في صيد الغزلان والتمتع بالجو المشمس في الشتاء وعلي شاطئ البحر في الصيف، وكان يلعب الورق طوال الليل بين أحضان الجواري ويصرف في بزخ حتي انهار الاقتصاد، وعاش الشعب فى بؤس شديد بسبب إثقالهم بالضرائب والمكوس، وعندما شعرت العمياء الضريرة بحال الناس وخطورة الوضع علي البلد، تركت الجبل ونزلت للمدينة وسارت حتي وصلت لقصر الملك وطلبت مقابلة الملك ،ولأن الكل يعرف مكانة العرافة العمياء وكيف أن حجبها عن الملك يمثل خطورة رهيبة، فقرروا إبلاغ الملك الذي كان مستغرقاً في شرب الخمور، ولكنه انتبه عندما تم ذكر اسمها فقام من مجلسه وجلس علي العرش يحاول بشتي الطرق أن يكون حاضر الذهن متوقد الحواس حتي استقرت بين يديه وخرج من فمها كلام يرن ف أذنه :لن يمر شهر من اليوم وإلا قدر رحلت عن هذه الدنيا، ستموت علي يد أقرب الناس لك. اهتز الملك اهتزازا شديدا وضاع منه الكلام وتبلبل فكره وضاع حسه وعرف أنه في مأزق عسير فلو قتل أو سمم

المحيطين به ستتكاثر عليه الحاشية ولو ترك الحال كما هو ،فرأسه الثمن، ثم أخذ يتفرس في الموجودين ويتسأل من يا تري الخائن المجرم الجبان ومن يا تري يتأمر علي الملك، وظل علي هذا الحال في يده السيف دون أن يجرؤ لحظة أن ينام، ثم في الصباح دس السم للحراس وجاء بحراس من غرب البلاد وأخذ يسجن ويقتل ويسحل ويراقب الوزراء ليلاً و نهاراً، رافضاً أن يقابل أحدا من الرعية، أو الحاشية، أو الوزراء والأعيان، حابساً نفسه في القصر الكبير، وفي القلب منه غرفة داخل عدة غرف محكمة الأغلاق رافضاً، دخول حتي أسرته وقد أتهمهم بالخيانة، والغدر، مردد، لن أموت، لن أموت ونفي الكثير منهم حتي تعطل الحال أكثر وضجت البلاد وسار سعر المواطن لا يساوي شيء وأخفي التجار السلع وعاث اللصوص في البلاد وقطاع الطريق وعندما طال به الحال لم يعد عقله ولا جسمه الاحتمال فسقط في جب الهذيان وترك لحيته وضاعت هيبه بسبب صراخة المتواصل وفي يوم صمت تماماً وظل الوضع علي هذا الحال أيام حتي تجاسر الحراس ووفضوا الأغلال غرفة وراء غرفة فوجدوه مكوم في الغرفة وقد فارق الحياة

غربة الفلاح

بقلم كوبيا وخط رديء كتب الحاج «موسي أبو عوض» رسالة إلي ولده المغترب في المملكة العربية السعودية منذ خمس سنوات رسالة قصيرة» زوجتك في حالة متأخرة»

قبل يد الكفيل لكي يحجز طيران إلي البلدة في أسرع وقت، وفي ساعات كان قد جمع حقائبه، ونزل الكفيل معه إلي السوق، لكي يشتري هدايا له و لأسرته وغادر السعودية علي طائرة مصر للطيران، عندما حلقت الطائرة فوق مصر ورأي المساحة الخضراء المنتشرة، والنهر الذي يخترق المدينة غلبه الشوق فبكي، بكي وتذكر ملامح زوجته الباهتة داخل مخيلته، خمس سنوات لم يرَ ابنه حاتما ولا ابنته زهرة، ريقه جف، وشعر بالأسف علي هذه الدنيا التي تعري الفقير، سواء في فقره أو بعد أن يتيسر له الحال، خمس سنوات يراها دهرا الآن، ويري كم كانت طويلة الليالي وموحشة وكئيبة وأن عليه الآن أن يطوي هذا الموضوع للأبد، نزل من الطائرة الساعة الثانية بعد منتصف الليل ووجد أخاه وابن عمه في انتظاره بسيارة «بيجو» وعندما وصل للبيت مع تباشير الصباح، وجد تجمعا من النساء والرجال أمام الباب، كان يظن إنها ماتزال علي قيد الحياة، لذلك، رتب

الكلام داخل دماغه، عشرات المرات يعيد ويرتب ويقدم ويؤخر، لذلك عندما أخذه أبوه بالحضن وقال: البقية في حياتك، صدم، أزاح أباه ودخل، رددت النسوة المُتَلَفِّعَات بثياب سوداء : ، ادخل خليها تسامحك، ارتبك وتعثر في القياس، ثم دخل غرفته، وأغلق الباب عليهم ثم عري وجهها، كان فمها مواربا قليلاً وبدت عجفاء ممصوص، عكس ما تمده ذاكرته، من وجه صبوح وجسد ريان، تأمل وجهها كان مخيفاً ومعقداً وكأنه مسخٌ مما جعله يركع علي ركبتيه ويعول.

الفهرس

افتراس ٥
الكمان ١١
كَوَابِيسُ الرُّواقيّ ١٧
عائلة الرزايا ٢٥
الفصول الأربعة ٣٣
الخِيَّةُ ٦١
ظفر إبهام يُشبه الخنجر ٦٣
الحبل ٧٥
الراقص ٨١
أمثولة العرافة العمياء مع الحاكم الظالم ٨٧
غربة الفلاح ٩١

مواليد يونيو 1966
مصر – محافظة الجيزة
صدر له:
- جسد في ظل (قصص) مركز الحضارة 1998
- جسد فى ظل دار ارابسك للنشر والتوزيع 2010
- جسد فى ظل دار أحمد المالكي العراق 2020
- طفولة ضائعة رواية 2016 دار الف ليلة وليلة
- الحروب الأخيرة للعبيد 2005 رواية الهيئة المصرية للكتاب
- ريح فبراير رواية 2008 الهيئة المصرية للكتاب
- سجن مفتوح رواية 2011 دار كتبخانة للنشر والتوزيع
- مزرعة الجنرالات 2010 دار الدار للنشر والتوزيع
- مزرعة الجنرالات 2010 دار ومضة للنشر والتوزيع الجزائر 2021
- زواحف سامة 2020 "دار خطوط للنشر والتوزيع
حدائق كافكا المعلقة رواية 2021 مؤسسة ابجد للنشر والتوزيع العراق
- بار مزدحم بالحمقى 2017 – قصص هيئة قصور الثقافة
- يد بيضاء مشعة 2015 قصص الف ليلة وليلة
- سجن مفتوح رواية طبعة ثانية دار أحمد المالكي 2020 العراق
سجن مفتوح رواية دار الدراويش للطباعة والترجمة 2021 المانيا
تحت الطبع
بقعة مظلمة من العالم قصص
بئر يوسف قصص قصيرة
بندقية صالح قصص قصيرة
سرة عارية رواية

حقوق الطبع محفوظة
© دار الأدهم للنشر والتوزيع